حصن الحصين الغازى محمود خادم

1

۱۳۹۷

Süleymaniye U Kütüphanesi

Kısmı	Ebüssuud Ef.
Yeni Kayıt No	
Eski Kayıt No	1397

بسم الله الرحمن الرحيم

ان احمد ما يتوصل به عبد الحميد الى العبيد وامجد ما يتوسل به
عبد المجيد الى المزيد الحمد لواجب الوجود على افاضة الكمالات
من عين الجود والصلوة والسلام على عبد
العزيز محمد صاحب الرسالة والمقام المحمود صلى الله
عليه وعلى اله واصحابه الفائزين فى نظام الدين ببذل المجهود
اما بعد فان امام الخلق وخليفة الحق المتحلى بالفضائل الانسانية
المتخلى عن الرزائل النفسانية المنجلى لذوى المعارف الالهية
المتلقى لاولى العوارف القدسية المفيض لجلائل النعم المفيد
لدلائل الكرم الموصوف بغاية الايقان المعروف بنهاية
الاحسان المذكور بحضرة السلطان الغازى عدلى محمود خان
المشكور بكلة لولا السلطان لما كان علم ولا عمل ولا عرفان
الحصن الحصين والحرز الامين والعدة فى الشدة والجنة
عند الادة لازال حافظا للبلاد وناصرا للعباد تاشرف
الفقير الى الله الغنى السيد عثمان بن الشيخ مصطفى الجركشى

الجركشى باحسان احسن المآثر لوح يقتبس من نوره انوار
البصائر كتب فيه بيد الكرامة ما طلع اسراره على الامة
من افق الدراية من جوامع الكلم المحمدية ولوامع الحكم
الاحمدية باحسن خط واضح بسنضاء كانه احسن كوكب درى
فى السماء نور على نور يهدى لنوره من يشاء ان يعلم من ضل
ومن اصحاب الصراط السوآء عالج فى قلبى شكر من شمل
ارباب الفضل افضاله ودار فى خلدى ذكر من كل اصحاب
الكمال اقباله فنادى سرى بوعاز اء احرى ان اثبت
بكتاب يرى من ايات اوصافه الكبرى ويحدث من محاسن
افعاله واحاسن احواله ذكرا وينبا من كرايم اوابه وعظايم
مناقبه عالم يخطابه الناس خبرا وينقد للكلمات القدسية
افكارا ويزيد للعقائد الحقانية انوارا يفتق من اكمام
المعانى ازهارا ويكشف عن ابكار المعانى استارا
فجئت بكتاب كريم اسرت فيه اسرارا وفصلت فيه
كل شئ تفصيلا واتخذت به مع الرسول سبيلا واثبت
فيه ذكرا جميلا ذكرا بما هو خير وابقى دهرا طويلا
ورغبت فيه دعاة مشهورا عسى ان يبعثه الله به مقاما محمودا
اللهم امده بالجنود الروحانية وايده بالعساكر المنصورة
المحمدية اللهم واجعل به اضعاف ما جعلته بالسلاطين
الماضية العثمانية اللهم واجعل كل تقدير قدرته خيرا
ولا تربقه من امر عسرا اللهم واجعله فى اعين الاعداء كبيرا

واجعل اعدائه فی عینه صغیرا اللهم واذق اعدائه عذابا الیما
وکن به وباجتابه رؤفا رحیما اللهم ولا تجعلنی بذلک الحدث
شقیا انک تجیب عبدا نادی ربه ندا، خفیا وشرحت
کلامی الرسالة والخلافة شرعا علیا فکل من کان بعده
فی کل حال حفیا انه کلمة قدسیة رواها الامام الاجل احمد
بن حنبل ومسلم بن الحجاج عن سعد بن ابی وقاص الف الیه
بتصویر الاقواس رضی الله عنه وهو من الثمانیة الذین سبقوا
الناس فی الاسلام واحد العشرة المبشرة بدار السلام
واول من رمی بسهم فی سبیل الله وقد کان مشتهرا باستجابة
الدعاء لدعائه علیه السلام بقوله اللهم سدد سهمه واجب
دعوته وقد قال فی مرضه عام حجة الوداع له صلی الله علیه
وسلم انی خفت ان اموت بالارض التی هاجرت منها
فدعی علیه السلام بقوله اللهم اشف سعدا اللهم اشف
سعدا اللهم اشف سعدا فشفی ببرکة هذا ولقد جمع علیه
السلام له یوم احد ابویه کلیهما وهو یقاتل حیث قال
صلی الله علیه وسلم ارم سعد فداک ابی وامی فتشرف
بهذا ولقد روی عنه صلی الله علیه وسلم مائتین واحد وسبعین
حدیثا له فی الصحیحین ثمانیة وثمانون حدیثا انفرد البخاری
بخمسة ومسلم بثمانیة عشر والمشهور انه توفی سنة خمس
وخمسین وکان وفاته فی قصره بالعقیق وحمل علی اعناق
الرجال فدفن بالبقیع وهو اخر العشرة المبشرة موتا

موتا رضوان الله تعالی علیهم اجمعین واختلف فی مبلغ سنه
فقیل ثلث وسبعون وقیل اربع وسبعون وقیل اثنتان وثمانون
وقال احمد بن حنبل ثلث وثمانون واحمد بن حنبل الامام الاجل
ناصر السنة الصابر علی المحنة الذی قال فیه امام الحرمین یحسن
ان یحسن عن غبار البدعة وکشف الغمة عن عقیدة الامة
توفی ببغداد سنة احدی واربعین ومائتین علی الصحیح المشهور
واما مولده فکان فی شهر ربیع الاول سنة اربع وستین
ومائة فقد ابناه عبد الله وصالح واما الشیخان المذکوران
فهما من اجلة ائمة اهل الحدیث حتی اتفق علماء الامة علی ان
لیس فی الکتب بعد القرآن اصح من کتابیهما او هما بالغا
فی تصحیح الاسناد وبلغا غایة التنقیح والانتقاد حتی قوی حجتهما
علی تسمیة کتابیهما بالصحیحین فبعض فضل کتاب البخاری
وبعض فضل کتاب مسلم وبعض قال بالسواء وبعض قال بالوقف
واما قول الامام الشافعی ما علی الارض بعد کتاب الله اصح
من کتاب مالک فذاک قبل وجود هذین الکتابین توفی محمد
بن اسماعیل البخاری سنة ست وخمسین ومائتین بخرتنک
وتوفی ابو الحسین مسلم بن الحجاج القشیری عشیة یوم
الاحد ودفن یوم الاثنین من رجب سنة احدی وستین
ومائتین بنیسابور واهل الحدیث عرفوه بما اضیف الی النبی
علیه السلام قولا او فعلا او تقریرا او نحوه فیدخل فیه ما هتم
بقلبه اذا علم به بوجه من الوجوه وکذا ما یتعلق بخلیته الشریفة

والحديث عند اهله ثلثة اقسام حديث صحيح وحديث حسن
وحديث ضعيف فالصحيح ما اتصل اسناده ونقله عدل ضابط
عن مثله بلا شذوذ ولا علة قادحة والحسن ما اتصل اسناده
ونقله عدل قل ضبطه بلا شذوذ وعلة قادحة وبهما يحتج والضعيف
هو الذى خلى عن صفة الحسن ويعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا
فقولنا اتصل اسناده احتراز عما لم يتصل وهو المنقطع والمرسل
والمعضل ونقله عدل احتراز عما فى سنده من لم يعرف عدالته
اما بان يكون عرف بالضعف او جهل عينا او حالا وضابط
عن مثله احتراز عما فى سنده راو مغفل كثير الخطاء وان عرف
بالصدق والعدالة ومن غير شذوذ وعلة قادحة احتراز عن الحديث
الشاذ والحديث المعلل بعلة قادحة وتحقيقه ان الشذوذ عبارة
عن انفراد الراوى بشئ فينظر فيه فان كان مخالفا لما رواه
من هو اولى منه بالحفظ لذلك واضبط كان ما انفرد به مردودا
وان لم يكن فيه مخالفة لما رواه غيره وانما هو امر رواه هو
ولم يروه غيره فينظر فى هذا الراوى المنفرد فان كان عدلا
حافظا موثوقا باتقانه وضبطه قبل ما انفرد به ولم يقدح الانفراد
فيه وان لم يكن ممن يوثق بحفظه واتقانه لذلك الذى انفرد به
كان انفراده به حاز ماله ومزحزحا له عن حيز الصحيح فان كان المنفرد
به غير بعيد من درجة الحافظ الضابط المقبول التفرد استحسن
حديثه وان كان بعيدا كان ما انفرد به مردودا وان العلة
عبارة عن اسباب خفية غامضة طرأت على الحديث فقدحت

فقدحت فى صحته وهى تكون فى الاسناد وتكون فى المتن والعلة
فى الاسناد قد تقدح فى صحة المتن ايضا وقد لا تقدح فاما علة
الاسناد التى تقدح فى صحة المتن فكالتعليل بالارسال فى الموصول
والوقف فى المرفوع واما علة الاسناد التى لا تقدح فى صحة المتن
وعلة المتن فمذكورة فى كتب اصول الحديث وبهذا
القدر علم معنى صحة الحديث الا ان الحكم بها على الظاهر اى ظاهر
الاسناد وهو الاخبار عن طريق المتن لجواز الخطاء والنسيان
على الثقة كما ان الحكم بضعف الحديث كذلك لجواز صدق الكاذب
واصابة من هو كثير الخطاء فما اضيف الى النبى عليه السلام
قولا او فعلا او تقريرا يسمى مرفوعا ومسندا وللخير معنى اخر
والذى يتلالا انواره فى سرادقات جلال لوحه من الاخبار
المسندة والاحاديث الصحيحة التى رواها الامام احمد بن محمد بن
حنبل فى مسنده ومسلم بن الحجاج فى صحيحه باسناد الصحيح الواصل
اليه عن سعد رضى الله عنه قال قال النبى عليه السلام ان الله
يحب العبد التقى الغنى الخفى واما كتب سعدان الاجل اجله الله
تعالى بالنصرة عز وجل انجاز الله وعده الاتم واكرمنا فاض علينا
من انعم مسئل مسائل كما انه قال قائل سبحان الله اللطيف ما احسن
هذا الخط الشريف فمن كتبه من اهل المعارف واللاحقين
فقال كتبه الغازى محمود بن عبد الحميد خان فمقتضى الرمز الصورى
ان قال من سعد رضى الله عنه على ارادة القول وما بعده
جملة تبسط عليه القول اى قال قال عليه السلام ونظيره فى القرآن

كثير منه قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
اى يقولون سلام عليكم وقوله تعالى واما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم اى فيقال لهم اكفرتم واختلف النحاة فى جواز
تسلط القول على المفرد الذى لا يؤدى معنى جملة ولا منقطع
عن جملة ولا هو مصدر لقال ولا هو صفة لمصدره فاجازه
جماعة ومنعه جماعة واما اذا كان المفرد مؤديا معنى جملة كقولك
قلت قصيدة او اقتطع عن جملة او كان مصدرا او صفة له
فانه يتسلط عليه القول اجماعا ويحتمل ان يكون من سلطان
الاسلام ايده الله العزيز العلام فان كان له رواية فنعمت
والا فلا باس فيه لعموم الناس بجواز تقليدهم فى غير الاصول
بعالم مهتد لانه اذا لم يكن مهتديا فى نفسه لا يصلح ان يكون هاديا
لغيره ولذا قال النبى عليه السلام اللهم زينا بزينة الايمان
واجعلنا هداة مهتدين ويدل على جواز التقليد فى غير الاصول
قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون واما فى الاصول
فتحصيل العلم واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز
قال العوهبية وغيرها من الاصول لابد لها من برهان
فاعتقاد بما لا يصح الا عن ايقان لان قوله تع اتقولون على
الله ما لا تعلمون يدل على ان العقايد لابد لها من قاطع وان
التقليد فيها غير سايغ والظن لا اعتبار له فى المعارف
الحقيقية وانما العبرة به فى الاحكام العملية وما قال الحافظ ابو بكر
محمد الاموى من انه لا ينبغى لاحد ان يقول قال رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يكن ذلك القول مرويا
له ولو على اقل وجوه الروايات لئلا يدخل تحت قوله عليه السلام
من كذب على فرده الامام السيوطى بانه لا يقال لمن نقل
من صحيح البخارى او صحيح مسلم حديثا ولا رواية له كذب على
رسول الله نعم يجب على من اخذ منا من مصنف عرض على
اصل واحد ويندب العرض على اصول وعلى كلا التقديرين
فقوله قال من القول وهو التلفظ بما يفيد المعنى سواء كان
ذلك المعنى مفردا او مركبا ويطلق مجازا على اربعة معان الاول
اللفظ المقول تسمية للمفعول باسم المصدر الثانى المعنى المتصور
فى النفس الثالث الرأى وهو الاعتقاد المكتسب عن اجتهاد
مطلقا يقال بهذا قول فلان اى معتقده الرابع المذهب فيقال هذا قول

ابى حنيفة اى مذهبه فالرأى اعم من المذهب لانه هو الاعتقاد
الاجتهادى المختلف فيه وقوله النبى معرف بلام العهد الخارجى
الشخصى فعين بمعنى الفاعل او المفعول اما من النباء
بمعنى الخبر فيكون مهموزا خفف بهمزة فابدلت ياء فالنبى هو
المخبر او المخبر له او من النبوة بمعنى الرفعة سمى به لارتفاع
شانه وعلو برهانه فابدل الواو ياء لسبقها وسكونها
وهو عبارة عن انسان بعثه الله اى الخلق ليدعوهم ويرشدهم
طريق المعاش والمعاد وانما قال النبى دون اسمه تنويها
لشانه لان الله كلما نادى نبيا نادى باسمه واما النبى صلى

وفى نسخة صح

الله عليه وسلم فناداه بقوله يا ايها النبي ويا ايها الرسول
تفخيما لشانه صلى الله عليه وسلم لما انه خص بالفضائل
العلمية والعملية الفائتة بالحصر ودون الرسول لكون
النبوة افضل من الرسالة من جهة انها عبارة عن خطاب
الله تع نبيه صلى الله عليه وسلم بما يتعلق بذاته والرسالة
متعلقة بالامة اومن جهة انها عبارة عن ولايته المختصة
بالحضرة فنسبتها الى واجل من نسبة رسالته المتعلقة بالامة
ولذا وردت الصلوة مقرونة بلفظ النبي في قوله تعالى ان
الله وملائكته يصلون على النبي لتعلقها بذاته الشريفة وقيل
الرسالة افضل من النبوة لعظم ثمرتها وعموم نفعها لان النبي
اعم من الرسول فانه على الصحيح رجل اوحي اليه سواء امر بتبليغه
ام لا والرسول من امر بالتبليغ ولكل وجهة وقوله عليه السلام
جملة مستانفة وليست بصفة للنبي اي عليه الصلوة والسلام
فاريد بقوله بعزنصره عليه السلام عليه الصلوة والسلام كما
اريد بكلمة لا اله الا الله كلمة الشهادة للاشارة الى اشكال شرك
ذكر الرسالة لان قوله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا
للكافرين يدل على ان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله
فهو كافر ولذا قال بعض المحققين قول لا اله الا الله لقب جرى
على النطق بالشهادتين في شريعته وبه تيمم ما ورد في الحديث
من قال لا اله الا الله دخل الجنة او اكتفى بذكر السلام
عن ذكر الصلوة كما اكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة

البشارة في قوله تع واوحي الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ الخ
عن ذكر البرد في قوله تع وسرابيل تقيكم الحر والاكتفاء من المحسنات
البديعية وهو اما اكتفاء بكلمة كما مر واما اكتفاء ببعض كلمة كقوله
كانت منايا بارض لا تبلغها اي منايا بها وعرفوه بان يدل موجود
الكلام على محذوف على ان افراد السلام عن الصلوة شايع
قال الله تع وسلام على المرسلين واما افراد الصلوة عن السلام
لفظا وكتابة فذهب اكثر الشافعية الى كراهته والصلوة التعظيم
وما اشتهر من انها من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن
الادميين تضرع ودعاء فقد صح عن السلف وتمسك به الشافعي
في الجمع بين معنيي المشترك ولما فيه من معنى التعطف عدي
بعلى للمنفعة مع تعدي الدعا بها للمغفرة واستغفار الملائكة للمؤمنين
شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة لان
المشاركة في الايمان يوجب النصح والشفقة وان تخالفت الا
جناس لانها اقوى من النسبات كما قال الله تع انما المؤمنون اخوة
والسلام اسم مصدر بمعنى التسليم فنقول عليه الصلوة والسلام
جملة اخبارية مبنى ودعائية انشائية معنى اخرجت في صورة الخبر
ثقة بالاستجابة كانه وجدت الصلوة والسلام فاخبرنا عنهما
موجودة مع تقديم الجار والمجرور على السلام واستعمال على مبنى
على تشبيه استدعاء الصلوة والسلام له باستعلاء الراكب على المركوب
واستعمال كل من الخبر والانشاء في معنى الاخر شايع اما الخبر
المستعمل في معنى الانشاء فكقوله تع والمطلقات يتربصن

تفيد التاكيد

اى ليتربص المطلقات عبر عن هذا المعنى بلفظ الخبر لكونه ابلغ
فى افادة المعنى المستفاد من لفظ الامر ولذا بنى على المبتدا
ليفيد فضل تاكيد وقوله تع واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا
تعبدون الا الله اى لا تعبدوا وهو ابلغ من صريح النهى من
حيث ان صورة الخبر توهم ان المنهى كانه وقع منه المبالغة
الى الانتهاء عن المنهى عنه فانتهى فيخبر عن انتهائه واما الا
نشاء المستعمل فى معنى الخبر فكقوله تعالى واستفزز من استطعت
اى حرك من استطعت منهم بوسوستك وادعائك الى الشر
فههنا قرينة مانعة عن ارادة حقيقة الطلب والايجاب عقلا
وهو كون الآمر تعالى وتقدس حكيما لا يامر ابليس باغواء عباده
فهو مجاز عن تمكينه من ذلك واقداره عليه بعلاقة ان التمكين
يقتضى تمكن المامور من الفعل وقدرته عليه وقوله تعالى فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا فانه اخبار عما يؤل اليه حالهم فى الدنيا والا
خرة اخرجه على صيغة الامر مجازا للدلالة على انه حتم واجب
والمجاز وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة
مانعة عن ارادته ان كان بغير علاقة الشابهة مثل العموم والخصوص
والسببية والحلول والاستعداد والمظهرية فمجاز مرسل كاستعمال
اليد فى النعمة باعتبار انها تعطى باليد والجمل الخبرية فى معنى الا
نشاء وبالعكس والاستعارة اما فى المركب ويسمى استعارة
تمثيلية واما فى المفرد المصرح فى الكلام ويسمى استعارة تصريحية
واما فى المفرد المرموز اليه فى الكلام ويسمى استعارة مكنية

مكنية والسبب فى الصلوة والسلام على الانبياء عليهم السلام
ان ارواح الانسان ضعيفة لا تستعد لقبول الانوار الالهية
فاذا استحكم العلاقة بين الارواح الانسانية والارواح النبوية
فالانوار الفائضة من عالم الغيب على ارواح الانبياء تنعكس
على ارواح المصلين عليهم بسبب الصلوة انعكاس شعاع الشمس
فى المطهرات الملوماء وان استفادة القابل من المبداء الفياض
تتوقف على المناسبة فكلما كانت المناسبة بينهما اقوى
كانت الاستفادة منه اكثر كالنار والحطب فانه كلما كان الحطب
ايبس كان اقبل للاحراق من النار وكالادوية الحارة
فانها اشد تاثيرا فى الابدان المنتنة ولا مناسبة
بين من تجرد عن المادة وبين من استغرق فى الكدورات
الجسمانية والعلايق البشرية فلقصورها عن قبول
فيضه لا تقبل النفوس الانسانية الكمالات القدسية
والمعارف الالهية منه تعالى الا بواسطة الانبياء عليهم
السلام فان لهم جهتين روحانية وجسمانية فبالجهة
الاولى يستفيضون وبالجهة الثانية يفيضون وتلك الواسطة
بالنسبة الينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه لما كان متوجها
الى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية فالان اثر ذلك باق
ولذا يزار قبره ويتوسل اليه بافضل الوسائل الذى هو الصلوة
فالصلوة على النبى عليه السلام واجبة عقلا واما وجوبها شرعا
فيدل عليه قوله تع يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

ولما امر الله تعالى عباده بالصلوة عليه ولم يبلغ احد قدر
الواجب من ذلك احالوها عليه تعالى فقالوا اللهم صل على
سيدنا محمد وعلى ال محمد لانه اعلم بما يليق به ففيه اشعار بان
الخلق عاجزون عن اداء الصلوة وقاصرون عن بيان نعوته
وصفاته لعلو كماله ذاته فعدلوا عما امروا بقوله صلوا عليه الى
الى العجز لديه وردوا الصلوة اليه بقولهم المذكور وهذا ما خص
دون سائر الانبياء عليهم السلام فانهم تشرع لامتهم
وان كانت الصلوة والسلام عليهم مشروعتين ويجوز الصلوة
على غيره من الامة تبعا وكره استقلالا لانها في العرف كانت
شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان
كان عزيزا جليلا فخص الانبياء عليهم السلام بالصلوة والسلام
استقلالا كما خص الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بالترضية
وغيرهم بالترحم ولا يجوز ان ندعو لهم بالرحمة لايهامه النقص
لان الرحمة غالبا انما تكون لدفع ما يلام عليه وقد امرنا بتعظيم
الانبياء، وان كان معنى الصلوة الرحمة فانه لا يلزم من كون
لفظ بمعنى لفظ آخر ان يستعمل في محله مع انه غير مسلم
فان اصل الصلوة هو التعظيم وسميت العبادة المخصوصة
بها لما فيها من تعظيم الله نعم يجوز الدعاء بالرحمة على سبيل
التبعية كما في التشهد وورد شيء يجوز تبعا ولا يجوز استقلالا
وحديث ان الله يحب من فصل الخطاب واقتباس من الكتاب
ومن جوامع كلمه وبدايع حكمه صلى الله عليه وسلم ولا يطالع

ولا يطالع جمال ما تحت نقابه من ابكار المعاني الا فحول العلماء
ولذا قال النبي عليه السلام اعطيت جوامع الكلم واختصر لي
الكلام اختصارا وقال اعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه وفي بعض
الروايات اوتيت بمفاتيح الكلام وفي رواية مفاتح الكلام
جمع مفتاح ومفتح وهما في الاصل كل ما يتوصل به الى استخراج
المغلقات التي يتعذر الوصول اليها فاخبر انه اوتي مفاتيح الكلام
وهو ما يسر الله له من البلاغة والفصاحة والوصول الى غوامض
المعاني وبدايع الحكم ومحاسن الالفاظ والعبارات التي اغلقت
على غيره وتعذرت ومن كان في يده مفاتيح كل شيء مخزون
سهل عليه الوصول وهو من المركبات التامة التي يتوقف
تصورها على تصور مفرداتها فنقول ان وهي بالكسر والتشديد
لتحقيق والتاكيد اي لتاكيد النسبة الحكمية بين المبتدا والخبر
وتحقيقها وهو الغالب كقولك ان الله غفور رحيم والتاكيد بها
اقوى من التاكيد باللام واكثر مواقعها حسب الاستقراء الجواب
لسؤال ظاهر او مقدر ولذلك قيل قولك عبد الله قائم اخبار
عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سؤال عن قيامه وقد يجيء
للتعليل نحو ما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجيء
بمعنى نعم كقولك هند ان لسخران وهي من الحروف المشبهة
بالفعل اما حرفيتها فلكونها دالة على معنى باعتبار غيرها وبالقياس
والنظر اليه فان معناها ليس مطلق التحقيق بل معناها تحقيق
خاص متعلق بشيء معين فلا يفهم معناها الا اذا تعقل ذلك

الشيء فانها موضوعة وضعا عاما لتحقيق ثبوت القيام لزيد فالدال
على ذلك المعنى الا بانضمام كلمة اخرى وهي زيد وقائم كلفظ
من فان معناه ليس هو مطلق الابتداء بل معنا ها ابتداء خاص
متعلق بالسير والبصرة فلا يفهم معناها الا اذا تعقل السير والبصرة
وكلفظ في فان معناها ظرفية خاصة متعلقة بالدرة والصدف
مثلا اي الاشتمال الجزئي فلا يفهم بدون ذكر الدرة والصدف
وبالجملة معاني الحروف امور جزئية يمنع نفس تصورها عن وقوع
الشركة تابعة لغيرها ومرتبطة بما سواها سواء كانت نسبة
يتوقف تصورها على تصور اطرافها اولا والحروف موضوعة
لتلك الامور الجزئية باعتبار تعقلها بامر كلي تندرج فيه ويسمى
الوضع ج ذلك الوضع العام وذلك المعنى الموضوع له الخاص ومن هذا
ظهر ان في في قول النحاة الحرف ما دل على معنى في غيره ليست
ظرفية بل للمقايسة كما في قوله تعالى وما الحيوة الدنيا في الاخرة
الا قليل واما شبهها بالفعل ففي عدد الحروف وابنا على الفتح
ولزوم الاسماء واعطاء معانيه وفي دخولها على اسمين ولذلك
اعملت عمل الفرعي اذ لو قدم مرفوعها على منصوبها لحصلت التسوية
بين الاصل والفرع وصدر الكلام بها شعارا بان محبة الله هو
الاصل النافع المحقق الجامع للمصالح من دفع المضار وجلب
المنافع وتاكيدا ومبالغة في الاطلاع والاقناط ومنها همزة النداء
وهي في حالة النداء مقطوعة الا في النادر وسبب اختصاص
القطع بالنداء انها انما جردت للتعويض لان التعريف الندائي

الندائي اغنى عن تعريفها فلم يلاحظ معها شائبة التعريف
اصلا حذرا عن اجتماع ادائي التعريف فلما تمحضت للعوضية
عن حرف اصلي جرت مجرى الهمزة الاصلية واما في غير حالة
النداء فقد روعي فيها اصل حالها فسقطت في الدرج مع كونها
للتعويض ومنها اسم الله خص به لدلالته على انه المستغني و
المنعم على الاطلاق وتفضيلا له على سائر الاسماء لانه اجمع منه
ولهذا ذهب اكثر العلماء الى انه الاسم الاعظم لانه العلم والباقي
صفات ولانه اسم لم يطلق على غيره ولانه الاصل في اسماء الله الحسنى
واغربها وهو القطب في مدار الامر عليه ومن ثم اضيفت اليه
ومن السنة الالهية ان يجعل اعز الاشياء اظهرها وارخصها
كالحجر الاسود الذي هو يمين الله والماء والملح والخبز الذي هو اعظم
ما يؤكل ويعاش به واحب الاشياء واكثرها وجودا من سائر
المشروبات والمأكولات والاعظم صفة الاسم بمعنى العظيم
وليس افعل التفضيل على بابه لان جميع اسمائه تعالى اعظم
وليس بعضها اعظم من بعض وقيل افعل تفضيل لان بعض اسمائه
اعظم من بعض فكل اسم اكثر تعظيما فهو اعظم من اسم اقل
منه تعظيما فالرحمن مثلا اعظم من الرحيم والله اعظم من الرب
فانه لا شريك في تسميته به لا بالاضافة ولا بدونها واما الرب
فيضاف الى المخلوقات كما يقال رب الدار والاظهر انه صفة
كاشفة اذ اسماؤه كلها بوصف المبالغة حتى قيل في قوله تعالى
وما ربك بظلام للعبيد انما اتى بصيغة المبالغة تنبيها على انه

لو تصور في الظلم كان على الوجه الابلغ ويمكن ان يقال
المراد بالاعظم ههنا الافضل والاولى في باب الدعاء واستجابته
واختلف في الجلالة فبعض تورع عن طلب ماخذها وذكر
معناها وبعض قال لعلها مشتقة لكنا لا نعرف المشتق منه
ولم نكلف بمعرفته وبعض قال فيها مذاهب الاول انها اسم
عربي مشتق صار علما بالغلبة وتحقيقه ان الجلالة اصلها لاه من لاه
يليه اذا احتجب او اله بهمزة اصلية او منقلبة عن واو مشتق
من اله بفتح اللام الهة والوهية بمعنى عبد عبادة وعبودية وزنا
ومعنى وهما وسمان يقعان في الاصل على ذات المعبود مطلقا ثم غلب
فيهما المعرف باللام على ذات الواجب وجوده فصار علما بالغلبة
اذ قد يكون بعض الاعلام اتفاقيا اي يصير علما لا بوضع واضع
معين بل لاجل الغلبة وكثرة الاستعمال في فرد من افراد جنس
بحيث ينصرف اليه عند اطلاقه ثم حذفت الهمزة من الاله ثم ادغم
لام التعريف في لام الاصل فصار مختصا بالمعبود بالحق قال الامام
قبل حذف الهمزة وبعده علم لذات المقدس لكنه قبل الحذف
اطلق على غيره اطلاق النجم على غير الثريا فكما ان النجم قبل الغلبة
يجوز اطلاقه على كل نجم معهود فكذا لفظ الاله يطلق قبلها على غيره
تعالى وبعدها لم يطلق اصلا والاشتقاق كون احد اللفظين
مشاركا للاخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين
اصوله مما ذكر وما لم يذكر واما العلمية فهي قسم مخصوص من التعريف
وهو الاشارة الى ان مدلول اللفظ معهود اي معلوم معين

معين حاضر في ذهن السامع من حيث هو معين كانه بشار
اليه بهذا الاعتبار والاشارة الى تعين المعنى وحضوره
في ذهن السامع اما بجوهر اللفظ كما في الاعلام او بامر خارج عنه
يشار به الى ذلك كالاشارة الحسية في اسماء الاشارات
ودلالة التكلم والخطاب والغيبة في المضمرات والنسبة المعلومة
كما في الموصولات والمضاف الى المعارف واللام وحرف النداء
في المعرف بها والثاني انها صفة مشتقة غلبت عليه وصارت
كالعلم لاختصاصها بالمعبود بالحق فخرجت بذلك عن ان يكون لمفهومها
صالحة لوقوع الشركة فيه والثالث انها مسرياتية اصلها لاها
فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه والرابع
انها علم لذاته المخصوصة لانها توصف ويقال هو الله الحميد والا يوصف بها
ولا يقال الحميد الله واما قوله تعالى الى صراط العزيز الحميد الله الذي
ففيه قراءتان الرفع على الابتداء او على الخبرية والجر على انه عطف
بيان او لاجل شبهة الواقعة في ان ذلك العزيز الحميد من هو
بناء على ان الكفار يصفون الاصنام بكونها عزيزا وحميدا
فلا اشكال اصلا ولا يمتنع في قدرة الله تعالى ان يشرف بعض
المقربين من عباده الصالحين بمعرفة تلك الحقيقة المخصوصة
فحينئذ لا يمتنع وضع الاسم بازائها وانكر قدماء الفلاسفة ان
يكون لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم لان المقصود من وضع
الاسم الاشارة بذكره الى المسمى وتلك الحقيقة غير متصورة
ولا معلومة بالبديهة ولا قابلة للتحديد فكيف يشار اليها بذكر اسم

واذا لم يصح ان يشار اليها بذكر اسمها لم يبق فى وضع الاسم فائدة
خلافا للمتكلمين حيث قالوا يجوز ان يعلم كنه حقيقته ومنعوا
حصر طرق المعرفة فى الضرورة والحد والرسم بجواز ان يعلم بخلق
الله العلم الضرورى به فى العبد او بالالهام او الرياضة او تصفية
الباطن والزموهم بان حقيقته هو الوجود المجرد وهو معلوم للعالم
ولانه لو لم تكن علما بان تكون صفة او اسم جنس لم يكن قول
لا اله الا الله توحيدا لان اثبات ما يصح اشتراكه بين كثيرين
لا يستلزم التوحيد وذلك باطل لاجماع العقلاء على انه توحيد
لان المعنى على نفى الوجود عن الرسوى الله بان يكون الجلالة
بدلا من اسم لا على المحل اذ حينئذ يقع الاستثناء من موقع اسم لا
فيكون خبر لا محذوفا فينتفى الوجود عن الرسوى الله فيحصل التوحيد
فيلاحظ فى النفى ما سواه وفى الاستثناء شهود الاله والتقدير
لا اله موجود او معبود او مطلوب او مشهود يجب مقامات اهل
الذكر وحالات ذوى الفكر ولذا سمى بكلمة التوحيد كما سمى
بكلمة الاخلاص لانه لا يكون سببا للخلاص الا اذا كان مقرونا
بالاخلاص وبكلمة التقوى فانه سبب الوقاية من النار
او كلمة اهلها والتوحيد فى عرف الشرع اعتقاد توحد الله تعالى
وانفراده فى ذاته وصفاته والوهيته وانه لا معبود سواه ويدل
عليه قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وانما لعدم توقفه على
التوحيد بل انما يتوقف على صدق الرسول الدال عليه ظهور
المعجزة منه بخلاف وجود الواجب فانه لا يصح اثباته بالدليل

بالدليل النقلى لانه يتوقف على صدق الرسول الموقوف على وجود
الواجب الذى هو رسول منه الى الخلق هذا هو المشهور بين
المتكلمين الا انه لا يخلو عن اشكال وهو ان مجيئه السمع
موقوف على ثبوت الرسالة وثبوت الرسالة موقوف
على كون المرسل واجب الوجود وهو موقوف على ثبوت كونه
واحدا اذ التعدد يستلزم الامكان فمجيئه السمع موقوف على
الوحدانية فلو توقف الوحدانية ايضا على السمع لزم الدور فى
ثبوتها ولما كان الايمان الكامل انما يتحقق بالتصديق والاقرار
بنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته جعل ركنا منه ولذا جعلت كلمة لا اله الا الله
فى الحديث المذكور عبارة عن الشهادتين او اكتفى باولى العبارتين
واحرى الجزئين وانها علم التوحيد وبها علم التعبد واركان الشئ
اجزاءه الخارجية او اجزاء ماهيته الداخلة فيها بخلاف الشرط
فانه الخارج الذى يتوقف عليه صحته كالاقرار باللسان لان الايمان
فى عرف الشرع التصديق بما علم مجئ النبى عليه السلام به ضرورة
تفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا وتلفظ القادر
شرط لاجرائه فمن اخل به فهو كافر فكلمة التوحيد هى الكلمة العليا
والقطب الذى يدور عليه رحى الاسلام والقاعدة التى عليها
اركان الدين كلمة طيبة فى ملازمتها تاثير فى نفى الاغيار وتزكية
الاسرار وفى اكثارها تجديد الايمان وزيادة اليقين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم جددوا ايمانكم قيل يا رسول
الله وكيف نجدد ايماننا اى وتصديقنا وانما ثبت معنا قال

اكثروا من قول لا اله الا الله فانه يتقوى به الايمان ويتنور
بسببه الايقان ويحصل به مرتبة الكشف ورتبة الاحسان
وكمال الحضور والعرفان ففي الحديث اشارة الى ان الايمان
لا يزيد ولا ينقص ولا يتعلق ولا يتجدد حقيقة وفي مدوامتها حصول الهيبة
لان القلب اذا تجلى فيه نور هذه الكلمة كان ذلك التجلي
نورا للربوبية ونور الربوبية اذا تجلى في القلب استعقب
حصول قوة الهيبة ولذا صار العارفون المستغرقون في انوار
انوار جلال الله يحتقرون الاحوال الدنيوية ولا يقيمون
لشيء من طيبات الدنيا وزنا وكل ذلك يدل على استعلاء
قوة هذه الكلمة على جميع الاشياء وحصول السير الى الله تعالى
في مرتبة النفس الامارة وهو الطور الاول من الاطوار
السبعة التي يترقى بها العارفون من حضيض المجاز الى ذروة
الحقيقة وفيها اسرار اخر يدركها اهل البصائر لان حقيقة معنى
هذه الكلمة عندهم هو البقاء بالمولى بعد الفناء عن السوى
واما الطور الثاني فالسير لله في مرتبة اللواحة وهي التي تتنور
بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة كلما صدرت
منها سيئة اخذت تلوم نفسها وتتوب عليها ومفتاحها
لفظة الجلالة باليباء وبدونها وفي الذكر بتكرير لفظة الجلالة
عروج الى مراتب الجلالة ومن لازم ذلك صاحب اهل الغيب
والشهادة وما قيل من ان ذكر الله بتكرير الجلالة بدعة
ولم ينقل مثله عن احد من السلف والذكر المشروع لابد وان

وان يكون مفيدا والاتباع خير من الابتداع يرده قوله تعالى
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقوله تعالى واذكر اسم ربك
وتبتل اليه تبتيلا واحاديث لا تحصى على ان الذاكر اذا قال الله
ملاحظا لمعناه فكانه قال الله معبودي الواجب الموجود المستحق
لجميع المحامد كيف وقد اجمع العلماء على تجويز الذكر بالاسماء الالهية
بالقلب وبالنفس للحديث والجنب والنفس والنفث الجيث
يتلفظ ويسمع نفسه وعلى ان الذكر المجرد افضل من جميع العبادات
المجردة عن الذكر الا انهم اختلفوا في ان الذكر بالتهليل والتقديس
ولفظة الجلالة ونحوها بالمجرد والقلب افضل او بالنفس الاخفائي
مع حضور القلب احتج من رجح الاول بان عمل السر افضل واحتج
من رجح الثاني بان العمل فيه اكثر والصحيح هو الثاني قال ابن
الحجر الذكر الكامل ما اجتمع فيه ذكر القلب واللسان واما الذكر
برفع الصوت فلا شك في جوازه الا ان بعض المشايخ اختار
ان الذكر الجهري اولى لكل شخص ابتداء وانتهاء لانه عمل كثير
وله ثواب عظيم وبعضهم اختار ان الذكر الخفي غالبا كان
اولى ثانيا اولى لان الجهر والاخفاء سيان عند
الله تعالى الا ان الاخفاء اشد اجتهادا واكثر اخلاصا وبعضهم
قال ينظر الى شان الذاكر فان كان خالصا من الرياء فالجهر
اولى في حقه وان لم يخلص فالاخفاء اولى في حقه وقال اهل التحقيق
من الصوفية ان الجهر بالذكر والقرآن في حق العوام ومبتدي
السالكين اولى بل اوجب لقلع الخواطر وقد ذكر في شرح المشارق

ان افضلية الجهر والاخفاء انما هو بحسب المقام والشيخ المرشد
قد يأمر المبتدى برفع الصوت لينقطع عن قلبه الخواطر الراسخة
فيه لان الجهر فى الذكر والدعاء ليس لاعلام الله تعالى بل لتصوير
النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وبعضها
بالتضرع والجوار وقد سمعت والدى الماجد يقول ان الذكر
برفع الصوت اصلح واذا اجتمع الاصلح والافضل يعمل بالاصلح
كقراءة التجويد وقراءة القران فان قراءة القران وان كانت
افضل من قراءة علم التجويد الا ان قراءة التجويد تصلحها وبهذا
اى الجهر بالذكر والتجمع فى اوقات مخصوصة اذا لم يؤد الى معصية
فان الطاعة اذا ادت الى معصية وجب تركها فان ما يؤدى
الى الشر شر وان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت
تحريم الفعل وذكر الله افضل المذاهب الى الله تعالى فى جميع الاحوال
بداية ونهاية لان شتى العبادات القالبية والبدنية الشاقة
من انفاق الذهب والفضة وطلاقات العدد انما هى وسائل
ووسائط يتقرب العباد بها الى الله تعالى والذكر انما هو المقصود
الاسنى والمطلب الاعلى يدل عليه قوله تعالى اقم الصلوة لذكرى
حيث جعل الصلوة وسيلة الى ذكر القلب والمقصود اشرف
من الوسيلة وقوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله
فالذكر لب العبادات وزبدة الطاعات ومدار على حسن
الخاتمة فما دام العبد مفتقرا الى تهذيب الاخلاق وتحصيل
المعارف فالقران اولى به وان جاز ذلك واستولى الذكر

الذكر على قلبه فمداومة الذكر اولى به لان درجة الفناء والاستغراق
لا ينالها الا من داوم على الذكر ولذلك قال الله تعالى ولذكر الله
اكبر واما الطور الثالث فالسير على الله فى مرتبة الالهية ويحصل
فى هذه المرتبة توحيد الافعال واما الطور الرابع فالسير
مع الله فى مرتبة المطمئنة وهى التى تنورت بنور القلب
وانخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة
ويحصل فيها توحيد الصفات واما الطور الخامس فالسير فى الله
فى مرتبة الراضية وفيها يحصل للسالك توحيد الذات
واما الطور السادس فالسير عن الله فى مرتبة المرضية
وفيها يرد من الوحدة الى الكثرة واليها الاشارة الالهية
بقوله راضية مرضية لان النفس فى اول تجلى نور الله فى روع
العبد واستغراق العبد فى معرفته تصير راضية من الله تعالى
وتصير فى اخريها مرضية عنده تعالى واما الطور السابع
فالسير بالله وفيه لا يميل السالك الى اللذات الحسية ولا يركن
الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جمال الله تعالى ملتذا ببقائه
باقيا ببقائه وهو منتهى درجات المكين ومنها يجب وفيه
لغتان يقال حبه يحبه بضم الحاء وكسرها واجبه يجبه وارتفاعه
بعامل معنوى هو وقوعه موقع الاسم كوقوع يضرب فى قولك
زيد يضرب مقام ضارب فحمل يجب على فاعله اما حمل اشتقاق
او حمل تركيب وتحقيقه ان حمل الشئ على الشئ ثلثة اقسام
حمل مواطاة وهو ان يكون الشئ محمولا على الموضوع بالحقيقة

والمحمول بالحقيقة اما عبارة عن ان يكون محمولا بلا واسطة
كقولنا الانسان حيوان واما عبارة عن ان يعطى موضوعه
اسمه وحده كالحيوان فانه يعطى الانسان اسمه فيقال الانسان
حيوان ويعطيه حده فيقال الانسان جسم نام حساس متحرك
بالارادة وحمل الاشتقاق وهو ما يكون الحمل بواسطة الاشتقاق
كحمل البياض على الانسان بواسطة الابيض وحمل تركيب وهو ما يكون
الحمل بواسطة ذو كقولنا زيد يمشي او مشى فان معناه زيد
ذو مشى في الحال او في الماضى وكذا اذا قيل مشى زيد او يمشى
فان الحمل انما يظهر بذلك التأويل فمعنى ان الله يحب ان الله محب
او ذو محبة الا انه لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار
المحبة كقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون فانه لا يريد به
حالا ولا استقبالا بل يريد به استمرار الصدود منهم كقولهم فلان
يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى واستمرار الشئ
دوامه وهو على ضربين الاول ان يكون دوامه بتجدد شيئا شيئا
الذى ادام الى يوم القيمة والثانى ان يكون دوامه تجددا
بانقضاء بعض افراده واجزائه وحدوث بعض افراده واجزائه
مقامه والاستمرار الذى يراد من الفعل المضارع النوع الثانى
فاختار الجملة الفعلية لافادة التجدد والمضارع لافادة الاستمرار
فخفيه يلمح الى قوله تعالى كل يوم هو فى شان واشارة الى
ان لطفه لا ينفك عنه فى شئ من الاحوال لانه جعل خبر المبتدا
فى هذه الجملة فعلا مضارعا دالا على ان محبته تستمر على سبيل

على سبيل التجدد غير منقطعة صلا والى ثبوت صفة حقيقية فانه
بذاته لان صدق المشتق على الشئ يقتضى ثبوت ما خذ الاشتقاق
له وقولنا ذو محبة ومحب بمعنى واحد فيثبت له صفة الارادة لان
محبة الله عبارة عن الارادة الخاصة لا كما يزعم المعتزلة انه مريد لا ارادة
له عالم لا علم له قادر لا قدرة له الى غير ذلك فانه محال ظاهر بمنزلة قولنا
اسود لا سواد له وقد تطفت النصوص بثبوت ارادته وقدرته
ودلت الادلة العقلية على وجود ارادته كما سيجئ والفعل يدل
على حدث يتحقق فى ذوات متعددة فيكون كليا والاتمام الوصف
الواحد بالشخص بها ونسبته الى الخاص منها ليست لاعتبار حدث
خاص فى مفهومه بل باعتبار امر جاز نسبته الى الخاص فهو باعتبار
بعض معناه كلى واما باعتبار تمام معناه فكالحرف فكان لفظ من
وضع وضعا عاما لكل ابتداء خاص بخصوصه كذلك لفظ يجب
موضوع وضعا عاما بالنظر الى النسبة المخصوصة الواقعة فى مفهومه
فيمتنع الاخبار عنه كالحرف اما لو اطلق واريد به مطلق
الحدث المدلول عليه ضمنا او اللفظ فهو كالاسم فى الاسناد اليه
والاضافة وقد نص المحققون على ان كل لفظ وضع بازاء معنى
اسما كان او فعلا او حرفا فله اسم علم هو نفس ذلك اللفظ
من حيث دلالته على اللفظ الذى يصدق عليه حد الاسم
او الفعل او الحرف الا ترى انك تقول ضرج فعل ومن حرف
فتجعل كل واحد من ضرج ومن محكوما عليه مع استحالة كون الفعل
والحرف مخبرا عنه الا انه يخبر به دون الحرف لان الفعل اعتبر فيه

وقد اعتبر بعضهم الحمل فى نسبة ما

الحدث وهو ملحوظ بالذات وضم اليه انتسابه الى غيره نسبة
تامة ومعنى الحرف غير ملحوظ بالذات فلا يمكن اعتبار النسبة بينه
وبين غيره ومنها الكناية وهي ضمير الغائب المستكن في يكب لان
الكناية في اللغة والاصطلاح ان يعبر عن شئ لفظا كان او معنى
بلفظ غير صريح في الدلالة عليه اما للابهام على السامع نحو جائني
فلان لان لفظ فلان يكنى به عن اسم علم لشخص من العقلاء او
للاختصار كالضمائر الراجعة الى ما تقدم ذكره فهو راجع الى الله
وموضوع له تقوله وجزئي اما كونه جزئيا فلان المرجوع اليه جزئي
يمنع نفس تصوره عن وقوع الشركة وهو يته الخارجية تعالى
شانه يجوز ان يتصور على وجه يعرضها الجزئية مع عدم العلم
بكنهها على انه يكفي في الكلية والجزئية التصور المفروض ولا شك
ان هويته تعالى لو تصورت لكانت مانعة عن وقوع الشركة
وفي قوله عليه السلام مبالغات تاكيد الحكم بان وبناؤه على الضمير
واخراج الكلام على صورة الاسمية والتعبير عن المسند بلفظ الفعل الدال
على الاستمرار وذهب الصوفية الى ان هو اسم لذات الواجب
تعالى ومفتاح توحيد الاقطاب من مراتب التوحيد ونقل الامام
فخر الدين الرازي في تفسيره عن بعض اهل الكشف انه هو
الاسم الاعظم واحتج له بان من اراد ان يعبر عن معظم
بحضرة لم يقل انت بل يقول هو وله وجه وجيه وهو ان كثيرا
من المتكلمين والصوفية يعبرون عنه بهوية الذات وقد يوجه
بانه زبدة الجلالة وخلاصة الجمالة فان لفظة الله اذا حذف منه

منه لام التعريف وقصد فيه التخفيف الدال على الاختصاص حذف الالف فبقي له كما في قوله
تعالى له ما في السموات وما في الارض واذا حذف اللام بقيت
كلمة هو باشباع وبدونه وهو مقرون بانفاس الموجودات
وان اختلف حال الذكرات والغافلات وفي قوله تعالى وهو معكم
اينما كنتم ايماء اليه وفي قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
دلالة عليه لانه يجوز بقرب الذات لقرب العلم اي ونحن اعلم
بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد وحبل الوريد مثل من القرب
والحبل العرق والاضافة بيانية والنصوص وان كانت محمولة
على ظواهرها الا ان فيها اشارات خفية الى دقايق ودلالات
ضمنية على حقايق تنكشف على ذوي بصائر واما كونه موضوعا
له تعالى فلان ضمير الغائب اما موضوع لمفهوم عام
بشرط ان لا يستعمل الا في جزئيات ذلك المفهوم الكلي الذي هو ما تقدم
ذكره واما موضوع لجزئيات المندرجة تحته والاول باطل على
ما بين في محله فهو موضوع اما لمطلق الجزئيات المندرجة تحته
واما لجزئيات الشخصية فالاول يوجب انتفاء رعاية الطرد
لان ما عداه من الضمير موضوع للاشخاص الجزئية والثاني
يوجب ارتكاب التجوز في الضمائر الراجعة الى المفهومات الكلية
المتقدمة ذكرها الا انه اهون من الاول فلفظ هو موضوع لجزئيات
المندرجة تحت قولنا كل غائب مفرد مذكر سواء كانت جزئيات
حقيقية او اضافية ولا يلزم منه الاشتراك وانما يلزم الاشتراك
اذا كانت لفظة هو موضوعة لها باوضاع متعددة وهو ممنوع

بل هو موضوعة لها بوضع واحد ولكنه في حكم المشترك من حيث
الاحتياج الى القرينة لتعيين ما يراد منه وتحقيقه ان الواضع
اذا تصور معنى كليا ولاحظ به جزئياته وعين بهذه الملاحظة
الاجمالية لفظا واحدا لكل واحد من تلك الجزئيات كان هناك
وضع واحد عام لمعان متعددة فيطلق بهذا الوضع ذلك اللفظ
على كل واحد من افراد ذلك المفهوم الكلي حقيقة ولا يطلق كذلك
على ذلك الكلي اذ لم يوضع له كما اذا قال لفظة انا لكل متكلم واحد
ولفظة انت لكل مخاطب مفرد مذكر ولفظة هو لكل غائب مفرد
مذكر فيكون كل واحد من هذه الالفاظ موضوعا بوضع واحد
لمعان شخصية متعددة فلا يكون كليا ولا مشتركا بل يكون الوضع
هاهنا عاما والموضوع له خاصا فيكون المستكن في الافعال دالا
على الرجوع اليه بالمطابقة وعلى النسبة المخصوصة باحدى الدلالتين
الباقيتين فان دلالة اللفظ على نفس المعنى مطابقة وعلى جزئه
تضمن وعلى خارج يلزمه في الذهن التزام والدال على النسبة
ولو بالتضمن اوالالتزام يسمى رابطة سواء كان اداة كما
في ادوات النفي او كلمة كرابطة الجملة الواقعة خبرا او صفة
او حالا فجملة يجب مرفوعة المحل بان المكسورة لا بالخبرية فانها
ليست علة موجبة للرفع مطلقا فان الخبرية لو كانت مقتضية
للرفع مطلقا لوجب ان يكون خبر كان مرفوعا لوجود ما فرض له علة
له وهو الخبرية وجملة ان الله يحب العبد كلام يدل بمجرد النظر
الى ذاته على ان النسبة المفهومة منه مطابقة للنسبة الخارجية

الخارجية وكل كلام كذلك فهو خبر فالخبر بمجرد النظر الى ذاته يدل
على الصدق لانه وضع لمطابقة نسبته للواقع واما عدم مطابقتها
فاحتمال عقلي ولا يلزم على تقدير عدم مطابقتها تخلف المدلول
عن الدال لان مدلول الخبر هو الصدق من حيث التصور
لا من حيث الواقع اذ الدلالة اللفظية هي كون اللفظ بحيث
يلزم من تصوره تصور معناه بالقياس الى العالم بالوضع والعالم
بالوضع اذا تصور مركبا خبريا لا ينفك عنه تصور مطابقة نسبته
للواقع وان لم يكن لها مطابقة بحسب نفس الامر لان عدم الشيء
في الواقع لا ينافي تصور ذلك الشيء فظهر وجه ما قالوا ان مدلول
الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي ومعنى قولهم ان كان
لنسبته خارج تطابقه اولا تطابقه لان المراد ان كان لنسبته
خارج بحسب الدلالة ومعنى ان يكون لنسبته خارج كون تلك
النسبة مطابقة لنسبة الخارجية سواء كانت مطابقة لها
بحسب نفس الامر اولا والنسبة تعني النسبة الذهنية المفهومة
من الكلام والنسبة الذهنية المعتقدة والنسبة الخارجية والاولى
قد تتحد مع الثانية وقد لا تتحد ويسمى الثالثة خارجا تواقعا سواء
كانت ثبوتية او سلبية فقوله عليه السلام ان الله يحب العبد
التقي من الاحاديث الصحيحة والصحة عند ائمة الحديث وان لم تكن
مستلزمة للصحة النفس الامرية على ما سبق الا ان ما وجد في الصحيحين
من الاحاديث فمقطوع صحته قال ابن الصلاح ما رواياه باسنادهما
المتصل فمقطوع صحته والعلم اليقيني النظري واقع به فيكون قضية

موجبة مخصوصة يقينية نظرية مطلقة عامة و ضرورية اما كونه
ضرورية فبيّن وجهه واما كونه مطلقة عامة فلان الحكم اذا اطلق
من الجهات ينبادر منه الاطلاق العام وهو عبارة عن فعلية النسبة
وهي في الاحكام الزمانية خروجها من القوة الى الفعل ولو في احد
الازمنة وفي الاحكام الغير الزمانية خروجها من القوة الى الفعل
ازلا وابدا واما كونه يقينية نظرية فلكونه موجبا لعلم الاستدلالي
اما انه موجب لعلم فمقطوع بان من اظهر الله المعجزة على يده
تصديقا له في دعوى الرسالة كان صادقا فيما اتى من الاحكام
واما انه استدلالي فلتوقف على الاستدلال واستحضار انه خبر
من ثبتت رسالته بالمعجزات واما كونه مخصوصة فلكون موضوعه
جزئيا حقيقيا واما كونه موجبة فلحكمه فيه بوقوع النسبة واما كونه
قضية فلتعلق التصديق والاعتقاد به لان ما يحصل في العقل
لا يخلو من ان يكون صور الماهيات او الاذعان والاعتراف
والاعتقاد بمطابقة تلك الصور فالاول هو التصور والثاني
هو التصديق والاذعان باعتبار حصوله في الذهن تصور لكن
بخصوصية كونه اذعانا لغيره تصديق والتصديق ان كان جازما
بحيث انقطع احتمال الطرف الاخر وثابتا بحيث لا يزول بتشكيك
المشكك و مطابقا للواقع فيقين او غير مطابق فجهل مركب
او غير ثابت فتقليد او غير جازم فظن فظهر من هذا ان القضية
اما يقينية او جهلية او تقليدية او ظنية وان العلم عند القائلين
بوجود صور الاشياء في الذهن هو الصورة الحاصلة من الشيء

من الشيء في الذهن وقيل تعلق خاص بين العالم والمعلوم
فيتعدد بتعدد المعلومات وقيل صفة توجب العالمية لذو هي حالة
تلك الصفة لها تعلق بالمعلوم فلا يتعدد بتعدد المعلومات والصورة
تطلق على معنيين الاول كيفية تحصل في العاقلة وهي التي مرات
لمشاهدة ذي الصورة والثاني هو المتميز بواسطة تلك الصورة
في الذهن والمراد هو الاول ولذا قيل في حديث اني صليت الليلة
ما قضى لي ووضعت جبيني في المسجد فناداني ربي في احسن صورة
ان الصورة ما به يتميز الشيء عن غيره سواء كان عين حقيقته
او جزئها المميز فكما يطلق الصورة في الاعيان تطلق في المعاني
فيقال صورة المسئلة كذا وصورة الحدان كذا فصورته تعالى ذاته
المخصوصة المنزهة عن محاذاة ما عداه من الاشياء البالغة اقصى
مراتب الكمال وان القضية بالفعل مشروطة بتعلق التصديق
بها بخلاف الخبر فان العربية لم يشترطوا في الخبر تعلق الاعتقاد
بالحكم ولذا قالوا المشكوك بل ما يصدر بخلاف الاعتقاد خبر نعم
قد يطلق القضية على عالم يتعلق به التصديق كما طرق الشرطيات
لكنه اطلاق مجازي وان العلم اثبت بخبر الرسول هو العلم
بمعنى الاعتقاد المطابق الجازم الثابت والا لكان جهلا او ظنا
او تقليدا الا ان التصديق والاعتقاد مشروط بتصور المحكوم
عليه بكنهه او بوجه صادق عليه مصحح للحكم عليه و تصور المحكوم
كذلك وتصور النسبة كذلك اما المحكوم عليه فهو الحق الثابت
في نفس الواجب لذاته وحده فتصوره لا يكون الا بلوازمه الخارجية اي

بالا من صفات الكمال وبما صدر عنه من الآثار والافعال لامتناع
التعريف بنفس وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته
والرسم لا يفيد معرفة الحقيقة قال النبي صلى الله عليه وسلم
تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في ذات الله رواه الامام الطبراني
في اوسطه لان المقصود من العمر التفكر في الاء الله والقيام
بموجب امره ولذا استعاذ صلى الله عليه وسلم من ارذل العمر
اذ يفوت فيه ذلك وفي الحديث اشارة على ان من اراد
الوصول الى كنه العظمة وهو بهة الجلال تحير وتردد بل عمى
فان نور جلال الالهية يعمي احداق العقول البشرية وترك
النظر بالكلية في المعرفة يوقع في الضلال والطرفان مذمومان
والطرف القويم ان يخوض الانسان في البحث المعتدل
ومن قال ان لفظة الجلالة علم لذاته المخصوصة فقد سبق
انه يقول انه لا يمتنع في قدرة الله تعالى ان يشرف بعض
المقربين من عباده الصالحين بمعرفة تلك الحقيقة
المخصوصة واما النسبة التي هي الوقوع ههنا فهي النسبة
الثبوتية من النسبة الاولى عند اهل العربية وعند ارباب
المعقول هي النسبة الثبوتية من النسبة الثانية وعند
بعض اخر منهم هو المطابقة لما في نفس الامر والاعتقاد بالمطابقة
لا يجب ان يكون الشيء المعتقد مطابقا في نفس الامر
ونفس الامر هو نفس الشيء والامر هو الشيء فمعنى كون
الشيء موجودا في نفس الامر انه موجود في حد ذاته اي ليس

فاقيم الظاهر مقام الضمير

اي ليس وجوده وتحققه وثبوته متعلقا بفرض فارض واعتبار
معتبر كالملازمة بين طلوع الشمس ووجود النهار ونفس الامر
اعم من الخارج مطلقا فكل موجود في الخارج موجود في نفس الامر
بالعكس كلي ومن الذهن من وجه لامكان اعتقاد الكواذب
كزوجية الخمسة فتكون موجودة في الذهن لا في نفس الامر ومثل
ذلك يسمى ذهنيا فرضيا وزوجية الاربعة موجودة فيهما ومثلها
يسمى ذهنيا حقيقيا واما المحكوم به فهو تعلق الارادة الالهية
بالخير لان نسبة ما هو من صفات الاجرام الى المختص بصفات
الجلال والاكرام المتعالي عنها قرينة صارفة عن ارادة حقيقته
لان المحبة ميل النفس الى الشيء ما خوذ من الحب المعروف
لحب الخمطة والشعير شبه حبة القلب وسويداؤه بالحب المعروف
فاستعيرلها اسم الحب ثم اخذ من الحب المستعار لحبة القلب
الحب بمعنى ميل النفس والمصدر المبني منه المحبة وهي من الكيفيات
النفسانية لانه قد دل الاستقراء على انحصار مقولة الكيف
في اقسام اربعة الكيفيات المحسوسة والكيفيات المختصة
بالكميات والكيفيات الاستعدادية والكيفيات النفسانية
اي المختصة بذوات النفوس من الاجرام العنصرية كارادة
العبد وقدرته والمراد بالنفس الانفس الحيوانية ومعنى اختصاصها
بالحيوان انها توجد في الحيوان ولا توجد في النبات والجماد
لا بمعنى انها لا توجد الا في الحيوان لوجود بعض هذه الكيفيات
في الواجب تعالى وفي المجردات عند مثبتيها كالحياة والعلم اما قدرة

العبد فهي صفة وكيفية تؤثر وفق الارادة وقيل هي مبداء الافعال
المختلفة واما ارادته فهي عبارة عن نزوع النفس وميلها الى الفعل
بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبداء النزوع وهو
القوة الحيوانية القائمة بقلب الحيوان والاول مع الفعل زمانا
والثاني قبله والخير فسر بحسب المقام بالوحي والالهام وبالعلم
والنصرة وغيرها ولعل المراد به ههنا مايعم ذلك من النفع الذي
يرغب فيه فمحبته تعالى عبارة عن ارادة الفعل النافع في الدارين
من الاكرام والاستعلاء في طاعته وصونه عن معصيته والعادة
والعصمة والتوفيق وهدايته واضافة رحمته اليه واضافة فضله
عليه وتهيئة اسباب القرب له وكشف الحجب عن القلب وغيرها
مما يليق بالاعتبارات وقد يعبر عن ارادة ذلك الفعل بالفعل
المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان ارادة الله تعالى لا تتخلف بحيث
يترتب حصول ذلك الفعل على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج
الى تجشم لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته
الذاتية فمعنى اراد كذا افعد فالمحبة كلمة جامعة يعبر بها عن جملة
اي ارادة الخير محبوب وليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفي
بها العبارة عن معنى هذه الكلمة لان الخير وان كان واحدا
لكنه يتشعب الى امور ووحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق فيدل
الكلام المتوفي على ثبوت المحبة بهذا المعنى للذات الواجب من جميع
جهاته بالمطابقة وعلى وجوده في الخارج بالالتزام لان ثبوت
الشيء شيئا في الخارج يقتضي ثبوت المثبت له فيكون

فيكون قوله عليه السلام ان الله يحب فضيلة خارجية مشتملة على امور من الهات
المسائل الالهية من الوجود والارادة والوجوب والوحدة
والقدرة والعلم وتعلق الارادة بالخير اما تعلقها به فلما سبق
من ان الحوادث بارادة وقضائه الازلي الخير مقضي بالذات
والبداء رضي الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم
وغيره من الثقات والخير كله في يديك والشر ليس اليك
اي قضاؤه فانك لا تقضي الشر من حيث هو شر بل لما يعقبه
من الفائدة الراجحة فالمقضي بالذات هو الخير والشر داخل في القضاء
بالعرض ولذا عرف الله الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لتعلق
الارادة باحداثها بالذات وذكر السيئة والتي بها مع حرف الشك
لعدم القصد بها الا بالتبع وكذلك ذكر الارادة مع الخير والمس
مع الضر وتحقيقه ان كل ما يطلق عليه الشر فهو ليس شر
بالذات بل بالعرض من حيث هو سبب لشر كالبرد المفسد
للثمار وكالسحاب المانع للقطار عن فعل والاخلاق
الردية والافعال الدنية كالجبن والبخل والالام والزنا، فالبرد
من حيث هو كيفية وبالقياس الى ما اوجب ليس بشر
بل هو من الكمالات وكذا الاخلاق الردية والافعال الدنية
ليست بشرور من حيث صدورها من القوة الغضبية
والقوة الشهوية بل بما من تلك الحيثية كمالات لتينك
القوتين وانما تكون شرورا بالقياس الى ضعف النفس
الناطقة عن ضبط قواها او بالقياس الى المظلوم اوالى العادة

بحث التحقيق واما الشر فمقضي بالعرض اذ لم يوجد شر
جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا ولذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم

الدنيئة وكذا الالام فانها ليست شرورا من حيث ادراكات
الامور ولا من حيث وجود تلك الامور في انفسها وصدورها
عن عللها وانما هي شرور بالقياس الى المتالم وفي كل ما يحدث
من خير وشر ونفع وضر فئتان اقوال فذهب اهل السنة الى ان
الحادث بارادته وتقديره ومعناه ان الارادة توافق العلم
على معنى ان كل ما علم الله وقوعه فهو مراد الوقوع وكل ما علم الله
عدمه فهو مراد العدم فالله تعالى مريد لجميع ما هو واقع من الخير
والشر والنفع والضر لانه موجد الكل غير مريد للم يقع لانه
تعالى علم ممن يموت على كفره عدم ايمانه فامتنع وجوده وذهب
اهل الاعتزال الى انه غير مريد لجميع الكائنات بل لبعضها
وهو المامورات ومعناه ان الارادة عندهم توافق الامر
وذهب الحكماء الى ان الموجودات كلها واقعة بقضاء الله تعالى
وارادته شرا كان او خيرا الا ان الخير مقضي بالذات والشر
واقع في قضائه بالعرض ومعناه ان ترك الخير الكثير لاجل
الشر القليل شر كثير ولذلك اسند المحبة الى الله تعالى بعرف
التحقيق فقال ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي فمعناه ان
الله يرضى من العبد الموصوف بما ذكر من الصفات ويتجاوز
عما فرط منه فيقربه من جناب عزه ويبوئه في جوار قدسه ولا سخط
عليه ابدا لان الرضاء هو المبدا لكل سعادة وكرامة والمؤدي
الى نيل الوصول والفوز بالقاء وقد قالوا غضب الله ورضاه
يرجعان الى معنى الارادة فارادته الاثابة تسمى رضى ومغفرة

ومغفرة العبد يسمى رضى ورحمة وارادة العقاب للعاصي وخذلانه
يسمى غضبا لان الغضب من الكيفيات النفسانية المستحيلة
في حقه تعالى فالرضا من الله تعالى ليس هو الارادة المطلقة
بل الرضا منه تعالى ارادة مخصوصة هي ارادة الثواب وهو
النفع الخالص الآجل المقارن للتعظيم وهو قسمان ثواب جسماني
وهو نعيم الجنة ولذاتها وطيباتها وثواب روحاني غايته ان يتجلى
له نور جلال الله تعالى ويكشف له بقدر الطاقة علو كبريائه
كما ان العقاب هو الضرر الاجل المقارن للاهانة عبر عما ذكر
من رضاه ومجاوزه عن خطيئاته بالمحبة كما عبر عن المحبة بالرضا
في قوله تعالى قبلة ترضيها اي تحبها وتشوق اليها تشبيها للارادة
الخاصة بالميل الحامل على الفعل واطلاقا لاسم المشبه به على المشبه
على طريق الاستعارة الاصلية ثم اشتق من المحبة بهذا المعنى
لفظ يحب فصار استعارة تبعية لتعذر ارادة الحقيقة
لان المحبة بالمعنى الاصلي من صفات الاجسام نفي الحديث
دلالة على النعم الالهية والمرتبة فادناها متاع الدنيا والايثار
بالغنى واعلاها رضوان الله تعالى واليه اشار بالمحبة
واوسطها الجنة ونعيمها واليه اشار بالتقى لان التقوى
بر ابتها من اسباب استحقاق المغفرة والوصول الى الجنة
وعلى ان العبد المتصف بتلك الصفات من الذين انعم
الله عليهم بالنعم الاخروية فان النعم الالهية وان كانت
لا تحصى تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان

وهبي وكسبي والوهبي قسمان روحاني وجسماني والثاني
ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويثبته في اعلى عليين مع الملائكة
المقربين ابد الابدين ويجوز ان يكون مجازا مرسلا تبعيا
لان المحبة كيفية نفسانية راسخة يستحيل ان يوصف بها الباري
فذكر المحبة واريد غايتها وهي ارادة الخير او الخير نفسه اطلاقا لاسم
السبب على المسبب فان الكيفيات الانفعالية اي الراسخة
اسباب ومبادئ تلك الافعال التي هي غايات لها كالرحمة ولذا
قال الامام النووي المحبة هي الميل ويستحيل ان يميل الله او يمال
اليه اذ ليس بذي جنس ولا طبع فيوصف بالشوق الذي
يقتضيه الطبيعة البشرية فمحبته تعالى للعبد ارادة تنعيمه للعبد
او هي انعامه والاول صفة معنى اي ذات والثاني صفة فعل
فعلى الاول المحبة قديمة وعلى الثاني محدثة وفي يحب ايماء
الى حدوث تعلق الارادة وان لله تعالى صفات ذات

وان الارادة تتعلق استقبالا وان اريد به الاستمرار حتم

او صفات افعال كما ان له صفات جمال وصفات جلال
وصفات الذات هي التي يوصف بها الله ولا يوصف
بضدها كالقدرة والحيوة وصفات الافعال هي التي يجوز
ان يوصف الله بضدها كالرضا والرحمة والسخط والغضب
وهي كاشفة عن صفات الذات وما قيل من انها استار
الجروت فباعتبار اخر اذ الشيء يجوز ان يكون ساترا
لشيء بوجه كاشفا عنه بوجه آخر وذلك ظاهر في الاعراض
بالنسبة الى الجواهر فانها ساترة له اذ لا يحس بوجوده بل

بل باعراضه القائمة به فهي استار له بحسب الوجود كاشفة عنه
بحسب الشعور لانها لما كانت مما لا يقوم بنفسه علم من ذلك
انها قائمة بما قام بنفسه وهو الجوهر وصفات الجمال هي الصفات
الثبوتية وصفات الجلال هي الصفات السلبية واليها
الاشارة الالهية بقوله تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام واما علمه تعالى فهو صفة حقيقية ازلية قائمة
بذاته تعالى تنكشف المعلومات عند تعلقها بها فعلمه تعالى
محيط بكليات الامور وجزئياتها فلا يخفى عليه شيء مما يصح ان يعلم كليا
كان او جزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة واما
قدرته تعالى فهي التمكن من الايجاد فالقادر هو الذي ان شاء
فعل وان لم يشأ لم يفعل ومعناه ان شاء الايجاد او الاعدام
فعله وان لم يشأ الايجاد او الاعدام لم يفعله فمعنى كونه قادرا
على الموجود حال وجوده انه ان شاء اعدمه وان لم يشأ
اعدمه لم يعدمه ومعنى كونه قادرا على المعدوم حال عدمه انه
ان شاء وجوده اوجده وان لم يشأ وجوده لم يوجده واما
ارادته فليست عبارة عن الشروع ولا البداء لان منهما
لا يتصوران في حقه تعالى بل هي عبارة عن صفة توجب
ترجيح احد المقدورين من الفعل والترك على الآخر وتخصيصه
بوجه دون وجه لان الله تعالى على كل شيء قدير وتخصيص بعض
الاشياء بالتحصيل انما هو من جهة الارادة لان الفعل الاختياري
الصادر من الانسان كما يحتاج الى ذاته وعلمه بما يفعل كذلك

يحتاج الى ميل وشوق منه اليه وذلك هو المسمى بالارادة في الانسان
وان الفعل الاختياري الصادر من الله تعالى كما يحتاج الى ذاته
تعالى وعلمه بما يفعل كذلك يحتاج الى شيء شبيه بميلنا وذلك
هو المسمى بالارادة في الآله فارادته تعالى صفة حقيقية قديمة زائدة
على ذاته قائمة بها مرجحة لبعض مقدوراته على بعض بالايجاد
في اوقاتها الخاصة به مغايرة للعلم والقدرة وسائر الصفات
مباينة للاختيار وما قيل من ان الارادة اعم من الاختيار
فمبني على تفسير الارادة بنفس ترجيح احد المقدورين وتفسير
الاختيار بالترجيح مع التفضيل قال الراغب ان الاختيار اخص
من الارادة لان فيه مع الارادة دلالة على تفضيل احد الشيئين
على الاخر لان الاختيار مشتق من الخيرة وهي الميل الى الخير لان
بناء افتعل قد يكون للاتخاذ فمعناه اخذ ما هو الخير والافضل لنفسه
فيكون قوله عليه السلام ان الله يحب قضية ضرورية لان
الضرورة كما تطلق على الضرورة الذاتية تطلق على الضرورة
الناشئة عن ذات الموضوع وهي الوجوب الذاتي الذي هو ان يكون
ذات الموضوع وماهيته آبية عن انفكاك النسبة بحيث لو فرض
الانفكاك انقلبت الى ماهية اخرى فالوجوب بهذا المعنى انما يتحقق
في الايجاب المتوقف على وجود الموضوع حيث يكون الموضوع
واجب الوجود كوجود الله تعالى او عالم اوحى فماهية الواجب
آبية عن انفكاك كل من هذه الصفات فيكون ثبوتها له
تعالى واجبا بالذات وضروريا له تعالى كما يكون مطلقة عامة

عامة لان المحبة التي هي الارادة التي هي صفة ثابتة له تعالى بالفعل
واما وحدته تعالى فعبارة عن ان صانع العالم واحد ولا يمكن ان يصدق
مفهوم واجب الوجود الا على ذات واحدة واما الوجوب وهو
اقتضاء الوجود بحسب الذات فامر عقلي كالامكان واما الوجود فهو
وصف مشترك بين جميع الموجودات عند جمهور المتكلمين
وكالحكماء لكنه عند الحكماء مقول على الموجودات بالتشكيك
وعند غيرهم بالتواطي لانه لو لم يكن مشتركا لما صح انتقاله
الى وجود الواجب ووجود الجوهر ووجود العرض اما وجود الواجب
فهو زائد على ماهيته لانه لو تجرد لتجرد لغيره فيكون ممكنا واما وجود
الجوهر والعرض فلان الوجود لو لم يكن زائدا على الماهية الممكنة
لما امكن تصورها مع الشك في الوجود والذي يدل على وجود
الواجب امران امكان العالم وحدوثه ووجودهما والذي
يدل على توحيده امكان التمانع وقد عرفت انه انما يصح اثباته
بالسمع فاذا اتصف بصفات ثبوتية زائدة عليه كما هو راي المتكلمين
فالوجوب الذاتي للذات وحده لا يشارك فيه غيره سواء كان
صفة له اولا فالصفات الوجودية الثابتة له تعالى واجبة لذات
الواجب تعالى لان ذاته تعالى كافية في جميع ما له من الصفات
مستغنية عما سواه والشيء الواحد يجوز ان يكون فاعلا
وقابلا شتى والذي يدل على ارادته تعالى ان تخصيص بعض
المقدورات دون بعض بالايجاد والتحصيل وبعضها بالتقديم
والتاخير لابد له من مخصص وذلك ليس هو نفس العلم

فانه تابع للمعلوم ولا القدرة فان نسبتها الى الجميع سواء وان
السمع والبصر والحيوة والكلام لا تصلح للتخصيص اذ الحيوة
كالقدرة في تساوي النسبة والسمع والبصر كالعلم في التعلق
والكلام لا تعلق له فلا بد من صفة اخرى من شانها التخصيص
فهي الارادة والذي يدل على انه تعالى قادر بمعنى انه يصح منه
الفعل والترك وليس شيء منهما لازما لذاته تعالى بحيث يمتنع
انفكاكه عنه انه لو كان موجبا بالذات ولم يتوقف تاثيره
في العالم على شرط حادث لزم قدم العالم وان توقف تاثيره
في العالم عليه فاما ان يتوقف وجود العالم على وجوده فيلزم اجتماع
حوادث لا نهاية لها او يتوقف على عدمه فيلزم تعاقب حوادث
لا اول لها وهما محالان هذا مذهب اهل الملة واما الفلاسفة فانهم
ذهبوا الى ان ايجاده للعالم على النظام الواقع من لوازم ذاته
فيمتنع خلوه عنه وذلك لانهم اعتقدوا ان وجود العالم منه
تعالى على ذلك كمال له تعالى فلا يجوز خلوه عنه كما لا يجوز خلوه تعالى
عن العلم الذي هو صفة كمال له تعالى والذي يدل على انه تعالى
عالم انه فاعل مختار وكل مختار عالم واما محبة العبد له تعالى
فهي عبارة عن ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه

النظام ؎

لان المختار هو الذي يقصد ما يريد ايجاده والقصد
الى الشيء انما يتصور بعد العلم به وانه تعالى حكيم وكل
حكيم عليم واما تعلق الارادة بالخير الذي هو المراد
فلذاتها فنقول عليه السلام ان الله تعالى متصف بالصفات
التي يتوقف عليها ايصال الخير لان من الصفات
الثبوتية ما يتوقف عليه افعاله تعالى ومنها ما لا يتوقف
عليه ؎

لان محبة العبد نوع من الارادة وهي لا تتعلق الا بالخير
والمنافع فيستحيل تعلقها بذاته وصفاته تعالى لان المريد انما يريد
ما ليس بكائن او اعدام ما يجوز عدمه وما ثبت قدمه امتنع
عدمه ولان المحبة انما تتعلق بما يجوز نيله والوصول اليه وعالم الممكن

لم يكن الوصول اليه فكيف يحبه فاذا قيل العبد يحب الله فمعناه يريد
طاعته او ثوابه او احدهما بتشهية ارادة ذلك بميل قلب المحب
الى المحبوب ميلا لا يلتفت معه الى الغير وهذا الوجه مبني على
ان المحبوب لذاته هو اللذة او دفع الالم وهذا السئل والكل
ممنوع والحق ان محبة العبد له تعالى كيفية روحانية مترتبة
على تصور الكمال المطلق له تعالى ومقتضية للتوجه التام والشوق
الى الله والانس به تعالى وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة
فيما يقرب به فعلى هذا فسر محبة العبد بارادة الطاعة والاعتناء
بتحصيل مرضاته والتحرز عن معاصيه واما من انكر محبة العبد
لله تعالى فلان ينكر ما يتبعها من العشق والشوق والانس
والانبساط ومحبة العبد لغيره تعالى مترتبة على تخيل كمال من لذة
او شفقة او مشاكلة كمحبة العاشق لمعشوقه والمنعم عليه
للمنعم والولد للوالد فاول المحبة الموافقة ثم الميل ثم الود
وهو محبة الشيء مع تمنيه ولذلك اي لكون كل واحد من المحبة
والتمني معتبرا في مفهوم الود استعمل لفظ الود في كل واحد
منهما حيث يقال وددته اذا احببته وودت الشيء اذا تمنيته
ثم الهوى ثم الود فالموافقة للطبع والميل للنفس والود للقلب
والمحبة للفؤاد وهو باطن القلب والهوى غلبة المحبة والود
زيادة الهوى وحقيقة الهوى مشهوة النفس ثم تسمى بالهوى
المشتهى ممدوحا كان او مذموما ثم غلب اطلاقه في المذموم
والشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة وفرقوا بينها

وبين الارادة بان الارادة اعم منها فان الارادة قد تتعلق
بما لا يشتهى كارادة شرب الدواء وبان الارادة قد تتعلق
بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل بالذات
المغايرة لها وفرقوا بينها وبين المحبة بانك تقول احب الله
ورسوله ولا تقول اشتهيهما فالمحبة اعم ولان الشهوة
في الاصل تكون وجدانية غير اختيارية بخلاف المحبة وقد يطلق
الهوى على راى عن شهوة داع الى الضلال قال الله تعالى
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اى اراء الجهال التابعة
لشهوات وقد يطلق على العشق قال النبي عليه السلام
الهوى مغفور لصاحبه عالم يعمل به او يتكلم قال بعض المحققين
يجوز ان يراد بالهوى في الحديث العشق اى لا يؤاخذ به العاشق
لانه فعل الله بالعبد وان كان مبدأوه النظر والسماع وروى
الخطيب عن عائشة رضي الله عنها من عشق فعف فكتم مات
مات شهيدا لكن على الشهادة وعدم المواخذة بشرطين
اشار عليه السلام اليهما بقوله عالم يعمل به او يتكلم اى بما فيه
راحة قلبه ومتابعة هوى نفسه واتفق الحكماء والعلماء على
ان الطريق الى سعادة الاخرة لا يتحقق الا بمخالفة الشهوات
ونهى النفس عن الهوى المخالف للهدى قال الله تعالى ومن اضل
ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وسعادة الاخرة يرجع
حاصلها الى امور اربعة بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه
وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده وهي التي توجب النعمة الحقيقية

التي اشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله تمام النعمة
دخول الجنة والفوز عن النار ومنها ال وهي تستعمل على ثلثة
اوجه احدها ان تكون موصولة وهي الداخلة على اسم الفاعل
والمفعول الثاني ان تكون زائدة وهي نوعان لازمة كالتي
في الموصولات وغير لازمة كالتي في غير الاعلام الغالبة كالرجل
واما التي في الاعلام الغالبة نحو البيت لمكة والمدينة لطيبة
والنجم للثريا فالاكثر فيها اللزوم ايضا وذلك لان اسم الجنس
لا يطلق على بعض افراده المعين الا باحدى اداتي التعريف
وهما اللام والاضافة كابن عباس غلب على عبد الله من بين
اخوته والبيت غلب على مكة واللام والاضافة للعهد وقد اشتهر
ان العهدية قد تكون بذكر المعهود صريحا او كناية وقد تكون
بعلم المخاطب به قبل ذكره لشهرته والتي في الاعلام الغالبة
من القسم الثاني فذو اللام والمضاف الغالبين في العلمية
يجب كونهما اشهر فيما غلبا فيه منهما في سائر الافراد التي
سماها فيها قبل العلمية فاذا صارا علمين لزم الاضافة فلا يجوز
تجريده عنها واما ذو اللام فالاكثر فيه ايضا اللزوم وقد يجوز
تجريده عنها كما قيل في النابغة نابغة وذلك قليل واجاز الكوفيون
نيابة ال عن الضمير المضاف اليه كقوله تعالى فان الجنة هي
المأوى واجاز الزمخشري نيابتها عن الظاهر كقوله تعالى
وعلم ادم الاسماء كلها اى اسماء المسميات الثالث
ان تكون حرف تعريف وهو مذهب الخليل والمشهور ما ذهب

سيبويه من ان اداة التعريف هي اللام وجدها زيدت
عليها همزة الوصل متعذر الابتداء بالساكن واللام التي
يشار بها الى تعيين الحقيقة ومفهوم المسمى هي لام الجنس
والتي يشار بها الى تعيين حصة من تلك الحقيقة فردا او فردين
او اكثر هي لام العهد والاسم الجنس مع لام العهد وضع آخر
بازاء تلك الحقيقة المعينة ولام الجنس اما لتعريف الحقيقة
من حيث هي هي واما لتعريفها من حيث تحققها في ضمن
الافراد مطلقا واما لتعريفها من حيث تحققها في ضمن كل فرد
واما لتعريفها من حيث تحققها في ضمن بعض الافراد ويسمى
الاول لام الطبيعة والثاني لام الاستغراق
والرابع لام العهد الذهني فمعنى اللام اثنان العهد الخارجي والجنس
والقسم الثاني منقسم الى هذه المعاني الاربعة والاصل منها
تعريف الحقيقة من حيث هي هي لانه يكفي في فهمها من اللام
مجرد العلم بالوضع فان الاسم موضوع لمفهوم المسمى وحقيقته
فالمعرف باللام بمجرد العلم بوضعه يدل على تعريف نفس حقيقة المسمى
واما الفردية كلا او بعضا فمستفادة من قرينة خارجية هي
دلالة الحال او المقال ومنها العبد وهو اسم لمملوك من جنس
العقلاء والمملوك موجود قابل للفناء ومقهور بالاستيلاء
من العبودية وهي اظهار التذلل والعبادة ابلغ منها لانها
غاية التذلل فلا يستحقها الا من له غاية الافضال كما ان غاية
التعظيم لا يحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو الله

الله تعالى والعبادة ضربان عبادة بالتسخير كما في قوله تعالى يسبح
له ما في السموات والارض ومن فيهن وعبادة بالاختيار
وهي لذوي النطق فيشمل العبد الانسان وغيره من الجواهر
الغائبة عن الحواس ويدل على شمولها قوله تعالى ان كل من
في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا وهي اما مؤثرة في
الاجسام اولا والاول هو العقول والملاء الاعلى والثاني
اما مدبرة اولا والاول اما علوية تدبر الاجسام العلوية وهي
النفوس الفلكية والملائكة السماوية واما سفلية تدبر عالم
العناصر فان كانت مدبرة للبسائط الاربعة والمركبات منها
فهي الملائكة الارضية والطباع التام وان كانت مدبرة للاشخاص
الجزئية فهي النفوس الارضية كالنفوس الناطقة والثاني اما غير
بالذات فهي الملائكة الكروبيون واما شرير بالذات فهي الشياطين
واما مستعد للامرين فهي الجن وذهب اكثر المسلمين الى ان
الملائكة والجن والشياطين اجسام لطيفة قادرة على التشكل
باشكال مختلفة واللام فيه للعهد الخارجي قصد بها الاشارة
الى حصة معينة من افراده وتوصيفه بتلك الصفات الثلثة للتمييز
عن معين اخر فانك اذا قلت جائني رجل عالم فقد قيدت
اولا مفهوم الرجل بمفهوم العالم وقصدت ثانيا بهذا المقيد
الى فرد لا بعينه من الافراد التي يصدق هو عليها واذا قلت
جائني الرجل العالم فقد اردت بلفظ الرجل فردا معينا باعتبار ما
واوردت العالم تمييزا له عن معين اخر والمعهود هو الانسان ولو انثى

فان الناس عبيد الله واماؤه فسموا اناسا لاستيناسهم وانسهم
بابدانهم وابدانهم بارواحهم اولاستيناسهم بامثالهم وجنسهم ونوعهم
اولانهم ظاهرون مبصرون من آنسته بمعنى ابصرته ولذلك سموا
بشرا وبدل على شمول العبد للانثى ماروى الشيخان عن عائشة
رضى الله عنها اما بعد يا عائشة فانه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت
بريئة سيبرئك الله وان كنت المممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى
اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه والفعيل بمعنى
الفاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث تشبيها بفعيل الذى بمعنى مفعول
كما فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وتوحيد العبد
لان المراد به الجنس المطلق الشامل لمن وجد فى زمانه عليه السلام
ومن سيوجد لما تواتر من ان مقتضى احكامه شامل للقبيلتين
كقوله تعالى ولا يفلح الحراى بنو آدم والفعيل قد يطلق للواحد
والكثير كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير والحديث عام
لمن استجمع تلك الصفات ذكرا او انثى (تخصيص الرجال فى بعض الاحكام لا

الرجال فطن للضر والنفع لان الله تعالى فضلهم على النساء
بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات
اولان النساء تابعة للرجال فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء
فى اكثر القرآن والسنن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا امرأة فرعون ومريم
بنت عمران وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على

على سائر الطعام رواه احمد بن حنبل والبخارى ومسلم والترمذى
وابن ماجه عن ابى موسى وروى الحاكم فى مستدركه عن عائشة
رضى الله عنها سيدة نساء اهل الجنة اربع مريم وفاطمة وخديجة
وآسية والمراد بالكمال التنابى فى الفضائل والبر والتقوى وحسن
الخصال وتمسك بالحديث من زعم نبوة مريم ورد بان الكمال
فى الشئ مايكون حصوله للكامل اولى من غيره والنبوة ليست
اولى للنساء بنائها على الظهور لله عوة وحالهن الاستتار
والاجماع على انه تعالى لم يستثن امرأة لقوله تعالى وما ارسلنا
قبلك الا رجالا والانسان مخصوص باستقامة القامة وحسن
الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر الممكنات
وحقيقته هى الروح المتعلق بالبدن والبدن هو الهيكل المحسوس
واما حقيقة الروح فما لا يمكن معرفته الا بعوارض يميزه عما يلتبس
به ولذا قال الله تعالى قل الروح من امر ربى اى انه موجود بامر
الله وتكوينه وانه ليس من عالم الخلق بل من عالم الامر اى عالم
الذوات المجردة والجواهر المقدسة وقيل انه من الامر الذى استأثر
الله تعالى بعلمه على ان يقدر مضاف ويكون الامر بمعنى الشان
والحكمة فى تعجيز العقل عن ادراك كنه مخلوق متعلق به ليدل
على انه عن ادراك خالقه اعجز وعرفوه بانه ماحيى به البدن
ويدبره ويسمى روحا انسانيا وقد يطلق الروح على البخار
المتكون من اللطف اجزاء الاغذية ويسمى روحا حيوانيا
وعلى عيسى عليه السلام لانه كان يحيى الاموات او القلوب

كما يحيى الله

أذ به يحصل معرفة الله ومعرفة ملائكته
ورسله واحوال الآخرة وعلى الملك تم

كما يطلق عليه الكلمة اطلاقا لاسم السبب على المسبب وعلى القرآن
قال الله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فانه يحيى
القلوب الميتة بالجهل ولذلك قيل الروح ملك عظيم
وقيل خلق لا يراهم الملائكة كالا نرى الملائكة والروح يطلق عليه
القلب كما يطلق على اللحم الصنوبري الشكل الموضع في الجانب
الايسر في الصدر وهو عضو مخصوص في باطنه تجويف وفي
ذلك التجويف دم اسود وهو معدن الروح الحيواني المتعلق
بالنفس الانساني القابل للاسلام ومنبع القوى باسرها
وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال الله تعالى ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب والعقل في الاصل الجبس سمي به الادراك
الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم اطلق
على القوة التي بها ادراك النفس وتميز بها عما سواها والنفس
ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لانه نفس الحي والقلب
الصنوبري لانه محل الروح الحيواني ومتعلق الروح الانساني
لانها اذا تعلقت بجميع البدن تعلق المدبر بما يكون متعلقا به لا محالة
وقد يطلق على الدم لان قوام ذات الشيء به وقد يطلق
على الماء لفرط حاجتها اليه وعلى الرأي لانه ينبعث عنها او لشبه
ذاتا بما ثمره وقد يطلق على ذات الواجب تعالى يدل عليه
قوله عليه السلام لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على
نفسك فلا وجه لما قاله بعض ارباب البديع من ان اطلاق
لفظ النفس عليه تعالى في قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك

فالمركب من الروح والبدن

ما في نفسك على سبيل المشاكلة لعدم الاذن الشرعي بالاطلاق
على ذات الواجب تعالى بناء على ان اسماء الله توقيفية
ووجه المنع ان النفس ماخوذ من النفس وهو تعالى منزه
عن التنفس والاظهر انه ماخوذ من النفيس فيجوز اطلاقه
عليه بهذا المعنى والآية التي نزلت في شهداء احد تدل على ان
الانسان ليس عبارة عن الهيكل المخصوص بل هو عبارة
عن الروح المتعلق بالبدن فذهب اكثر المتكلمين الى انه جسم
لطيف سار في البدن حال فيه وقيل جزء لا يتجزى في القلب
وذهب المحققون من الحكماء والمتكلمين الى انه جوهر مجرد
غير حال في البدن ولا مجاور له لكنه متعلق به تعلق العاشق
بالمعشوق لتوقف كمالاته والذاته الجسمية او العقلية بين
على البدن على ما سيجيء والتعبير عن التعلق بالنفخ مبني على
التشبيه لانه لما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث
عن القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها
في تجويف الشرايين الى سائر البدن جعل تعلقه بالبدن
نفخا فالروح مع حدوثه قبل البدن او بعده بان لا يفنى
بموت البدن وخرابه وعدمه بذاته لا يتوقف عليه ادراكه
وتاثره والتذاذه يدل عليه قوله تعالى في ال فرعون النار
يعرضون عليها فان عرضهم على النار اجراقهم بها من قولهم
عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم
وقوله عليه السلام ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي

حتى ارد عليه السلام رواه ابوداود عن ابي هريرة

والامام احمد بن حنبل فان فيه دلالة على بقاء ابدان
الانبياء والارواح بعد الموت وهي تكتسب بالعقايد والاعمال
هيئات توجب لذتها والمها لكنها لاتشعر بها في الدنيا لعوايق
يشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوايق وادركت لذتها
والمها وتحقيقه ان نفس الناطقة بعد مفارقتها عن الابدان
وانقطاع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا سعادة
وشقاوة فسعادتها بالكمال في العلم والعمل وشقاوتها بنقصها
لانها ان كانت عالمة بوجوده تعالى ووجوب وجوده الذي
هو منبع الصفات الثبوتية ومتقدس ذاته وافعاله وكيفية
صدور الموجودات عنه وكانت نقية عن الهيئات الدنية
مثل البخل والحقد والحسد معرضة عن اللذات الجسمانية اذ غلبة
عن الحق التذت بوجدانها نفسها كاملة بكسب العلم والعمل
شريفة باعراضها عن اللذات الجسمانية المخرجة منخرطة
في سلك المجردات واخذة في زمرة الملائكة المكرمة وان كانت
جاهلة بذاته وصفاته وافعاله بقايا معتقدة للاباطيل الزايغة
تمانعت بادراك جهلها واشتياقها الى المعارف الحقيقية وياسها
عن حصولها وتمنت العود الى الدنيا واكتساب المعالم وان اكتسبت
افعالا ذميمة واخلاقا رديئة عذبت بميلانها اليها وتعذر حصولها
لها مدة بحسب رسوخها ودوامها فيها حتى يزول وذهب
جماعة من المعتزلة الى ان الارواح اعراض لاتقوم بانفسها

على ما قاله الحكماء

بانفسها بل تحتاج الى اجسام تقوم بها وبها فارقت الابدان
العدمت كما هو حال الاعراض فلا تتنعم ولا تعذب بعد مفارقتها
عن الابدان ولذا قالوا في قوله تعالى بل احياء احياء يوم القيمة
انما وصفوا به لتحققه ودنوه وتيقن وقوعه والحق انها جواهر
قائمة بانفسها تبقى بعد المفارقة وراكة لما اصابها من اللذة
والالم على حسب ما اكتسبت من العلم والطاعة والمعصية باستعانة
قواها الجسمانية فالعالم بالله والعامل له والسالك الى الله والمتقرب
اليه والمكاشف بجلاله والمخاطب والمعاتب والمطالب
والمعاقب والمطيع بالحقيقة هو الروح والقلب بهذا المعنى
واما الجوارح اتباع وخدم والات يستخدمها القلب ويستعملها
استعمال الملك لعبيده واستعمال الراعي لرعيته والروح اذا
كان في غاية الصفاء والنفاسة كان البدن في غاية النقاء
والطهارة فان جواهر النفوس البشرية مختلفة بالماهية فبعضها
نفوس مظلمة كدرة قوية التعلق بالجسمانيات عديمة الالتفات
الى الروحانيات وبعضها نفوس مشرقة صافية قليلة التعلق
كثيرة الانجذاب الى عالم الروحانيات فاختلاف افعالها واحوالها
البعدية مخالفة لشبهها بالماهية لانهم متشابهون من
اوناس البشرية واوساخ الغنصرية والكاملون
في القوى الظاهرة والقوى الباطنة والفائزون بكمال
العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل الذي
هو الغاية والحكمة من انزال الكتب على الرسل لان النفس

لاجل اختلاف جواهرها وماهياتها ومنهم من قال انها
متماثلة في الماهية واختلاف افعالها لاجل اختلاف
امزجة بدنها والمختار هو الاول ولذا كان النفوس

ان طلقة التي هي كمال اول لجسم طبيعي الى من جهة مايدرك الامور
الكلية وتفعل الافاعيل الفكرية جهتين جهة الى عالم الغيب
اي نسبة اليه تستعد بها لقبول صور الموجودات
والتحلي بالمعارف والادراكات من هذا العالم وجهة الى عالم
هذا العالم فهي بالجهة الاولى متاثرة وبالجهة الثانية مؤثرة ولاجل
لها بحسب كل جهة من قوة ينتظم بحالها من التاثير والتاثر
هناك فالقوة التي بها تتاثر وتستفيض من المبادي
العالية تسمى قوة نظرية والتي تؤثر وتتصرف في الابدان
تسمى قوة عملية فالقوة النظرية هي استعدادها الحاصل لها
باعتبار النسبة الاولى والقوة العملية هي استعدادها الحاصل
لها باعتبار النسبة الثانية ولكل منها كمال ومراتب ودرجات
بعضها فوق بعض فكمال القوة النظرية بمعرفة الحقايق الكونية والغيبية
وكمال القوة العملية باكتساب الاعمال السنية والاكتساب
الاخلاق المرضية والاجتناب عن المحظورات منهما والبها
الاشارة الالهية بقوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم فان قوله تعالى ان الله ربي وربكم اشارة الى كمال
القوة النظرية بالاعتقاد الذي غاية التوحيد وقوله تعالى
فاعبدوه اشارة الى ان استصلاح القوة العملية بملازمة
الطاعة وهي الاتيان بالاوامر التي هي مناط الصلاح وسبب
الفلاح والانتهاء عن المناهي التي يفضي بها الى الردى وقوله
تعالى هذا صراط مستقيم اشارة الى ان الجمع بين الامرين

الشهادة اي نسبة اليه تستعد بها لان يتصرف في اجسام
صح

ثلاثة الى ثلاثة النفس والثانية ثلاثة للنفس
والبدن بتحريك البدن من الشرور الى الخيرات
صح

بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة وتقديم ان الله
ربي وربكم يدل على ان ما يستند الى القوة النظرية اعلى كما لا
كما يستند الى القوة العلمية لان القوة العلمية تستفيد من القوة
النظرية لان كمال القوة انما هو بالامور المذكورة ومعرفة هذه
الامور والتمييز بينها علوم نظرية غالبا لان الموجود ان لم يكن
باعتبار يهذين القوتين يكاد لا نفسانيا ولا كمال باعتبار
غيرهما ويسمى كما لا بدنيا ولما علم الله تع عجز
القوى البشرية عن تكميل نفوسهم بما ذكر من غير ان يكون
بينهم وبينه تعالى واسطة من جنسهم لها بتجرد باعتبار وتعلق
بمقتضى الفطرة به يفيض على من يهوديه اخرجه صلى الله عليه
وسلم الى الخلق سفيرا صادقا لتكميل النفوس باصلاح قواها
وافعالها قال الله تعالى هو الذي يريكم اياته اي ايات الدالة
على التوحيد وشانه يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم ولما كان
تكميل النفوس البشرية واخراجها من حضيض مرتبة الجادية
الى اوج السعادة الابدية وتجريدها عن العلايق الجسمانية
وايصالها الى الفضائل الروحانية باستكمال القوة النظرية
واستصلاح القوة العملية اشار صلى الله عليه وسلم
في حديثه هذا الى ما به يكمل النفوس الانسانية من المعارف
النظرية والاحكام العملية ورتب عليه المحبة الالهية تحريضا
على الكمال العلمي او على الكمال العملي فوصف العبد بالتقي
والغني والخفي اما التقي فهو البليغ في التقوى حتى صارت

الثلثية ثم

لا اختيارنا ان في وجوده يسمى العلم به نظريا وان نفعا عليا
بمعنى انه علم باشياء ينتفع بالعمل وبها الاعتبار يحصل للنفس القوة
النظرية والقوة العلمية والكمال الاتي ثم

لحكمة لان العدول الى صيغة الفعيل للدلالة على المبالغة والكمال
لانها للمبالغة كالرحيم والعليم فيكون التقي ابلغ من المتقي
فمعناه ان الله يحب من اصر على التقوى ورسخ فيها ولذا
صرف الله تعالى ايات الوعيد لكي يتقي الناس عن المعاصي فيصير
التقوى ملكة لهم والتقوى في اللغة الاتقاء واصل الاتقاء ان يجعل
الشيء حاجزا بينه وبين ما يكرهه فكان التقي يجعل الاتيان
بما امر والانتهاء عما نهى حاجزا بينه وبين العذاب وفي عرف
الشرع هو التوقي عما يضر النفس في الاخرة ولها ثمث
مراتب الاولى تقوى عامة المؤمنين وهي التوقي عن العذاب
المخلد بالبترى عن الشرك لان التقي من الصف بالتقوى
في الجملة وليس من شرط الاتصاف بها ان يكون الشخص آتيا
بجميع انواع التقوى كما لا يشترط في توصيفه بالضرب
كونه آتيا بجميع انواع الضرب فاعتبر في التقوى خصوص
الاتقاء عن الشرك بالاجماع فلا يشترط في توصيف
الشخص بالتقوى ان يتحقق فيه شيء زائد على الاتقاء من
الكفر فتكون عبارة عن الايمان وهو في اللغة التصديق
ما خوذ من الامن واما في الشرع فقد مر انه التصديق بما علم
بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ويقابله الكفر
وهو في اللغة ستر النعمة وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة
مجيء الرسول به فبينهما تقابل التضاد فالايمان هو التصديق
الخاص عند الاشاعرة والعمل خارج عنه واما الاقرار فهو جزء

جزء داخل في حقيقته عند بعض المحققين واما من قال ان الايمان
مجرد التصديق بدليل ان الله اضاف الايمان الى القلب
حيث قال كتب في قلوبهم الايمان فقد جعل الاقرار تمامه
باعتبار انه لا يعتد به بدونه ولا يترتب عليه الاحكام مالم يات
به لنا لان الامر مبني على الظاهر والله اعلم بالسرائر
ويشهد على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقته كالعمل قوله
تعالى وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات وكال
بهذه المرتبة بامرين التخلية عما لا ينبغي والتحلية بما ينبغي
لكن الطاعات منه ليست بجزء منه ويدل على تجرد الايمان
عن الاعمال والطاعات عطف العمل على الايمان في مواضع
عديدة من القرآن اذ الاصل ان لا يعطف الشيء على نفسه
وما هو داخل فيه وقوله تعالى انا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا
عذاب النار حيث رتبوا سؤال المغفرة والوقاية عن عذاب
النار على مجرد الايمان بالقاء السببية وتوسلوا بمجرد الايمان
الى طلب المغفرة من الله تعالى ولو كان الايمان اسما للتصديق
المستتبع لجميع الطاعات كما زعمه المعتزلة حامدهم الله بمجرد قولهم
انا آمنا فالمراد بالايمان الذي دل عليه التقي الايمان باللا
لانه المقصود الاعظم من الايمان والعمدة في الدين والقدر
المتفق عليه بين الانبياء عليهم السلام ولذا افرده عن العمل
فيكون اشارة الى استكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها

التوحيد لان التوحيد رشد يوصل الى السعادة الابدية والشرك
غى يؤدى الى الشقاوة السرمدية فالعاقل متى تبين له ذلك
بادرت نفسه الى الايمان بالتوحيد وتصديق الرسول
والى متابعته بالتزام شرعه لان من صدقه ولم يتابعه بالتزام
شرعه فهو بعد فى خطة الضلال وفيه تحريض على ما يستدعى
مغفرة العبد لان الايمان بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب
ان يؤمن به لانه انما يحق به ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر
ان يؤمن به واصول اربعة الاول الايمان بان للعالم صانعا واحدا
قادرا والثانى الايمان بالملائكة والثالث الايمان بالمكتب
اى الوحى الذى يتلقاه الملك منه تعالى والرابع الايمان
بالرسل الذين يتقبلون انوار الوحى من الملائكة لان الايمان
بالله انما يتم بالايمان برسله فيما بلغوا عنه اجمالا او تفصيلا
فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال قال الله تعالى
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله الثانية تقوى الخواص
وهى التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وهو المتعارف
باسم التقوى فى الشرع وكمال هذه المرتبة الاخلاص الموجب
للخلوص اى اخلاص نفسه عما سواه او اخلاص طاعته لله تعالى
لان العبادة خدمة الله والمخدوم له ولا يتم الا باخلاصها عن الشرك
والرياء والنفاق قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين اى مخلصين له الدين والطاعة من الشرك والرياء والسمعة
والسمعة بضم السين هو ان يفعل الفعل من الطاعة ليسمعه الناس

الناس ويروه ولا يريد به الاخلاص ولذلك الرياء ويعبر عن تلك
التقوى بالصلاح وهو استقامة النفس على حالة كالة والفساد
ضده ولا يصلح الصلاح الحقيقى الا فى الاخرة لان الاحوال الفاضلة
وان وصفت بالصلاح فى بعض الاوقات لكن لا تخلو عن شائبة
خلل وفساد او لا تصفو لذلك الا فى الاخرة خصوصا لزمرة
الانبياء لان الاستقامة التامة لا تكون الا لمن فاز بالقرب
العلى وناول المقام الاسنى ومن ثم كانت هذه المرتبة مطلوبة
للانبياء والمرسلين قال الله تعالى والثالثة تقوى الخواص
وهى التنزه عما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشره
بالاشتغال بذكر ذى الجلال على وجه الكمال والتضرع اليه
والحضور والاستغراق لديه والف شهدة والمراقبة عليه
وكمال هذه المرتبة هو البقاء بالمولى بعد الفناء عن السوى
والانفصال عن نفسه بحيث يرى ان ليس فى الوجود الا الله
ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر
كلمة لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل رواه البخارى ومسلم وابن ماجه
عن ابى هريرة رضى الله عنه اى قول لبيد الا كل شئ ما خلا الله
باطل من الضرب الثانى من البحر الطويل واصله فعولن مفاعيلن
فعولن مفاعيلن مرتين ولم عروض واحدة وهى الجزء الاخير من المصراع
الاول مقبوضة دائما والقبض حذف الخامس الساكن وثمة
اضرب الاول سالم والثانى مقبوض كعروضه والثالث محذوف
والحذف اسقاط سبب خفيف كحذف لن من مفاعيلن والسبب

ثم اعلم السلام

كناية والحقنى بالصالحين تتمه

الخفيف متحرك بعده ساكن فالجزء عروضا كان اوضربا اوحشوا
اما ان يعرض لشئ من الزيادة والنقصان اولا الثاني لاكلام
لنا فيه والاول اما ان يلزمه اولا والاول العلة والثاني الزحاف
فعلة الطويل القبض والحذف واما زحافاته فالقبض فيما سوى العروض
والضرب كقبض وكل وقبض محال في المصراع الثاني من قوله وكل
نعيم لا محالة زائل والكف وهو حذف السابع الساكن الا انه
يجب المعاقبة بين القبض والكف والخرم وهو سقوط اول حرف
من الوتد في اول البيت والخزم وهو زيادة حرف او حرفين
الى اربعة في اول البيت والتصريع وهو تغيير عروض البيت للاحق
بضربه الا انه لا يختص بالطويل بل يدخل في كل البحور واما كلمة
تلك الكلمة اصدق كلمة قالها لدلالتها على ما دل عليه قوله تعالى كل شئ
هالك الا وجهه وعلى ما يحصل بسلوك لان السالك اذا ترقى
من حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة شاهد ان ليس في الوجود
الحقيقي الا الله واطلاق الموجود على الممكنات مجاز بعلاقة
المظهرية واختلفت كلمات الناس باختلاف مقاماتهم وتفاوت
حالاتهم فقال بعضهم ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله وقال
بعضهم ما رايت شيئا الا ورايت الله معه وهذا كله امر لا طريق
لوصول اليه الا الكشف وهذه المرتبة مرتبة لا يقتضي الحكمة الالهية
الاتفاق عليها لان الاعراض عما سوى الله والاقبال الكلي على الله تنع من الكل
ما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحقي لخربت الدنيا واما الزهد
فهو على ثلثة اوجه الاول ترك الحرام بالقلب وهو زهد العوام

العارفين ناذه المرتبة

اثنا عشرته

العوام من المسلمين والثاني ترك الفضول من الحلال بالقلب
وهو زهد الخواص منهم والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تع
بالقلب وهو زهد العارفين واما الورع فهو اجتناب الشبهات
خوفا من الوقوع في المحرمات والصفة منه الورع بكسر الراء على
روى الطبراني عن ائمة الورع الذي يقف عند الشبهة اي
الفعلة التي تشبه الحلال من وجه وتشبه الحرام من وجه فيشتبه
الامر فالورع تركها احتياطا فينبغي للعبد ان يترك المحرمات
توقيا من العذاب والشبهات تحفظا لنفس عن الوقوع في
الحرام وبعض المباحات صونا لها عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس
الطبيعة فعلى المعنى الشرعي يكون معنى الحديث النبوي ان الله
يحب العبد التقي من فضايح الاعمال ورزائل الاخلاق بتهذيب
القوة الغضبية والشهوية وتمرينها على الخير فلا يواخذه بشئ لانه
محسن ومن صار محسنا صار محبوبا والرزائل منحصرة في ثلثة
انواع نفسانية وبدنية وخارجية بحسب القوى التي هي للانسان
فانه ذو ثلث قوى عليها مدار امره عقلية وهي تدعوه الى المعرفة
والطاعة ولا ينوقع منها بتوقع من القوتين الاخريين من المفاسد
والشرور شهوية وغضبية وهما تؤديان به الى الفساد و
سفك الدماء الا اذا صارتا مهذبتين مسطوعتين بمستنيرتين
على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف بان
القوة العقلية المهيمنة عليها حافظة لها عن التعدي ومجاوزة
الحد وبيانه ان الخالق تعالى قد ركب في الانسان ثلث قوى بل اربع

احدیها مبداء ادراک الحقایق والشوق الی النظر فی العواقب
والتمییز بین المصالح والمفاسد ویعبر عنها بالقوة النطقیة
والعقلیة والنفس المطمئنة والملکیة والثانیة مبداء جذب
المنافع وطلب الملاذ من المآکل والمشارب وتسمی القوة
الشهویة والبهیمیة والنفس الامارة والثالثة مبداء الاقدام
علی الاهوال والشوق الی التسلط والترفع وتسمی الغضبیة
والسبعیة والنفس اللوامة وکل منها محتو بطرفی افراط وتفریط
فاوساطها فضائل واطرافها رزائل وقد ذکر فی کتب الاخلاق
ان لکل خلق طرفی افراط وتفریط وهما مذمومان والخلق الفائق
ماهو العدل الوسط بین الطرفین کالبخل فانه افراط فی الامساک
وکالتبذیر فانه تفریط فی الانفاق وعلی الوجه الاول منه یکون معناه ان
الله یحب العبد المتبری من الشرک وعلی الوجه الثانی یکون
معناه ان الله یحب العبد المجتنب عن کل مایؤثم وعلی الوجه
الثالث یکون معناه ان الله یحب العبد المتبری عما یشغل
سره عن الحق فان فسر المحبة بارادة الهدی علی ماذکره
القاضی من ان محبة الله لعبده عبارة عن ارادة الهدی
والتوفیق فی الدنیا وحسن الثواب فی الاخرة فمعناه
ان الله یهدی العبد الصائر الی التقوی ای من قدر ایمانا او تجنبه
او تبریه کقوله تعالی وذکر فان الذکری تنفع المؤمنین تنزیلا
لما یشارف منزلة الواقع فان اصل وقوع الشیء ان یکون
فی علمه وتقدیره ومقتضی مشیته سماه تقیا اشارة ترغیبا

والمعتدل هو الوسط والرابعة القوة الوهمیة الشیطانیة فهی
تسعی ابدا فی الاستعلاء علی الناس والترفع واظهار الریاسة والتقدم
فهی کالقوة الشهویة والغضبیة مبداء الشرور والقبائح و
داعیة الیها وبها یاتی الشیطان من قبلها بخلات القوة الغضبیة فان
الشیطان لا یقوی الانسان من قبلها اذ لا مناسبة بینها وبین الشر والشیطان
فاذا طاوعت القوة الشهویة والغضبیة القوة العقلیة یقع
علیها اثار جمیلة فان التراکیب یفید ما یقصر عنه الافراد انتهی

ترغیبا وتحریضا وفیه مدح للمقابل بصفة المحمودة حال خلوه
عنها بانه کالمتصف بها بالفعل او ان الله یهدی العبد المؤمن
الی مایوجب ثبات ایمانه ویدخل فیه النظر الصحیح الی الحق او یهدی
العبد المجتنب عن کل ما یؤثم الی مایقربه من جناب عزه او یهدی
العبد المتبری الی ماشاء من حقایق المعارف الالهیة الشهودیة
والهدایة الدلالة بلطف ولذا اختصت بالخیر تتعدی بنفسها کقوله
تعالی اهدنا الصراط المستقیم وباللام للدلالة علی ان المنتهی
غایة الهدایة کقوله تعالی ان هذا القرآن یهدی للتی هی اقوم وبالی
لتضمنه معنی الانتهاء کقوله تعالی انک لتهدی من تشاء الی صراط
مستقیم ولها انواع اولها خلق القوی والمشاعر الظاهرة والباطنة
التی یتمکن بها من الاهتداء للمصالح والثانی نصب الدلائل الحقة
والثالث ارسال الرسل وانزال الکتب والرابع ان یکشف
الغطاء عن قلوبهم حتی یشاهدوا الاشیاء فالهدایة التی
یدل علیها یجب اما الهدایة لمن قدر تقواه واما الهدایة الزائدة
فعلی التقدیر الاول معناه ان الله یحب العبد الصائر الی
التقوی ویوصله الیها فی الدنیا ویثیب علیها فی العقبی
وفیه اشارة الی ان هدایة الله تعالی تختص ببعض دون
بعض وانها مستلزمة للاهتداء لانها تحصل بفضل الله
وقبول النفس لها والقابل لها والمنتفع بها هو الصائر
الی التقوی ای من یصیر عاقبة امره ومآل حاله التقوی
دون الباقین علی الضلالة وفیه اشارة الی شرف

التوفيق وانما عدل عن البصائر الى التقوى الى التقى ايجازا
ولم يقل ان الله يحب المتقين كما قال الله تعالى اشارة
الى ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم
بخلاف الضالين لان مقتضى الهوى متعدد لاختلاف
الطبايع والعادات ولذا شبه الايمان بالنور وشبه الكفر
بالظلمات لتعدد طرق الكفر وانواعه وعلى الثانى فان حمل
التقى على المرتبة الاولى فمعناه ان الله يهدى من رسخ عقايده
واطمئن قلبه الى سلوك سبيل يؤديه الى الثواب الجسمانى
من الجنة ونعيمها لان منتهى الهداية الهداية الى طريق الجنة
والتلذذ ببدايتها اوالروحانى من الاتصال بجناب القدس
والفوز برضوان الله ولقائه اوالى سبيل يؤدى الى الاستغراق
فى صفات الحق بسبب ايمانه فان الايمان حقا يقتضى
الجد فى طاعة الله تعالى والاجتهاد فى احكامه والرسوخ
فى الاعراض عما سواه والتوجه التام الى جنابه قال الله
تعالى واتقوا الله ان كنتم مؤمنين ولذا عرف العمل الصالح
بما يقتضيه الايمان وبرتضيه الله فالله تعالى خلق الانسان
فى غاية الحسن والاتقان وفضله على سائر الحيوانات
بالهيئات الفائقة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة
والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع
الكمالات المتنوعة وجعله مختصرا من العالم المجيد اوما فى العالم
شئ من الجواهر والاعراض الا وفى الانسان له نظير ومركبا

مركبا من كثيف وبسيط ولم يسبق شئ الاادوع فى اول نشاءته
وبنائه حتى برز على غاية الكمال واظهر بين الجمال والجلال
وما يرى فيه من النقايص كالشهوة والبخل فهو مواد الكمال
ومباديه فان العفة نتيجة الشهوة والسخا نتيجة البخل فمن
غلب عقله على شهوته فرسخ عقايده واطمئن قلبه فازال
ف والكفر وخيانة الشرك فالله يهديه الى سبيل النجاة ويوصله
الى الحق من العقائد والى صراط مستقيم من الشرايع التى
هى مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية ومن
المعارف الحقيقية الالهية التى هى منتهى الكمالات العلمية
والفضائل العلمية بسبب ايمانه لان العدل القويم كما ان
الشرك ظلم عظيم وقد روى الشيخان عن ابى ذر رضى الله
عنه اتانى جبريل فبشرنى انه من مات من امتك لا يشرك
بالله شيئا دخل الجنة والشرك اعظم انواع الضلالة والبعد
عن الصواب والاستقامة فلا يتعلق به المغفرة بمقتضى
الوعيد ولا يهدى من اخل بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان
هداية موصلة الى الاهتداء وفى الحديث اطلاع على مؤمن واقناط
لكافر فانهما وان اتفقا اشتراكهما فى بعض الصفات
كالشجاعة والسخاوة الا انهما اختلفا فيما هو الخاصية العظمى
وتهيج له على الثبات والرسوخ فى ايمانه وفى ترتيب المحبة
على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق ما يراد منها
والاستعداد له ويؤيده قوله تعالى اعدت للذين امنوا بالله ورسوله

ورد العلة

لانه يدل على ان الايمان وحده كاف في استحقاقه واما العمل
الصالح فيدل بعض الايات على انه كالتتمة والردف
وانما وصف العبد بالتقى بهذا المعنى تنويها له وتنبيها على ان
المقيم لحقوق العبودية هو المؤمن فلما كان الايمان بالله
اصلا لجميع الكمالات العلمية والعملية وتطهير القلوب عما لا ينبغي
مقدما على تنويره بما ينبغي قدم التقي على الغني والخفي وانما
قدم الشكر على الايمان في قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وآمنتم لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر
شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به فقد تقدم
الشكر على الايمان في الوجود فقدم عليه في اللفظ وان حمل
على ما يعم فعل الطاعة وترك المعصية من التجنب عن كل
ما يؤثم فعلا او تركا بالايمان واتباع الحق والطاعة يكون
معناه ان الله يهدي من عمل صالحا وجاهد وهو مؤمن الى
سبيل يؤدي الى العرفان ويرفعه الى منازل الابرار بسبب
العمل الصالح والمجاهدة فيه فان المجاهدة في العبادات مفاتيح ابواب الانس فالمداومة على العمل الصالح هو فعل الطاعة وترك المعصية
مع تذكر البقي عليه السلام لان الفاعل للطاعة والكاف
نفسه عن المعصية امتثالا لامر الله تعالى ونهيه ينبغي ان
يذكره عليه السلام بقلبه لانه المبلغ لها عن الله تعالى والدال
على معرفته والهادي الى طاعته كما قيل فانت باب الله الذي
لا يدخل من غيرك الا سارق وفي شرح الجامع للمناوي

ولا اجتهاد في رفض الشهوات وتركها العادات

للمناوي كان بعض العارفين يعيد كل صلوة تخلل فيها عن شهوة
صلى الله عليه وسلم ولو سهوا وانما قلنا وهو مؤمن لتوقف
اعتبار العمل على التوحيد على ما يدل عليه قوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا فان ايمان شرط في صحة الطاعات
وقبول الخيرات فلا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب
ولذا جعل العمل عدة والايمان حالا ليدل على انه شرط في اعتبار
العمل وانه اكثر ثوابا وفيه تقوية العلة وتكميلها وبيان
لما يطلب به العزة والحيوة الابدية من التوحيد والعمل الصالح
لان الحيوة الابدية انما تكون بالايمان قال الله تعالى لينذر
من كان حيا اي مؤمنا في علم الله تعالى وبالعمل الصالح فانه يحقق
الايمان ويصدقه ويقويه قال الله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه واما سوء العقيدة والمعاصي
فانهما ان عن نيل الفضائل المعزة ومؤديتان الى زوال
الحيوة الحقيقية الابدية ففي الحديث اشارة الى ان الله
تعالى لا يهدي الفاسق الى طريق السير والسلوك كما لا يهدي
الى طريق الجنة قال الله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي هداية موصلة الى معرفة الحق والى الجنة فان النفوس
العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق
بها عن التخلص الى عالم المجردات محرقة بحرقة الفرقة متجرعة
غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس والمؤدي
الى هذا العذاب القوة الواهمة المحالة في الدماغ والقوة

وقيه اشارة الى ان التقوى بهذا المعنى مقدمة لحق التقوى المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته كما ان الرهبة والخوف من مبادئه ومقدماته

الغضبية التي في يمين القلب والقوة الشهوية التي في يساره
ولا يصدر من الانسان شر الا وهو اما فجور، او منكر
او بغي صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث او بهديه
لادراك ما لا يعلم من الحقايق الواجبة وما يتعلق بها والحقايق
الممكنة وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كيف
وكم واعتبار ونسبة بانواع الدلائل لان ما يصح ان يعلم اما ان
يتحقق في الخارج اولا والاول هو الموجود والثاني هو المعدوم
والموجود اما قديم او حادث والحادث اما متحيز وهو الجوهر
واما حال فيه وهو العرض والجوهر اما ان يقبل القسمة بوجه
وهو الجسم اولا وهو الجوهر الفرد والعرض اقسام والمشهور
انها تسع وقيل انها اربع لان العرض اما غير قار الذات
وهو الحركة او قار الذات وهو اما ان يتعقل مع الغير وهو
الاضافة او يتعقل بدونه وهو اما ان يقتضي التجزي والقسمة
لذاته وهو الكم اولا وهو الكيف ومع الجوهر يصير المقولات
عشرا والقديم اما واجب لذاته وهو ذات الله وتقدس
واما واجب لذات الواجب تعالى وهو صفاته تعالى ففي
الحديث اشارة الى شرف علم التوحيد وشرف الانسان
وكرامته فان شرف الانسان بالمعرفة والطاعة والا فهو
وسائر الحيوانات سواء فان الانسان شارك سائر
الحيوانات والنباتات فيما لها من القوى فان النفس
النباتية لها قوى ثلث قوة الاغتذاء والنمو وتوليد المثل

المثل والنفس الحيوانية لها قوتان زائدتان على هذه الثلث
وهما قوة الى سبيه ظاهرة او باطنة وقوة الحركة بالاختيار
فهذه القوى الخمس حاصلة للنفس الانسانية
مع ما فيها من القوة العاقلة المدركة لحقايق الاشياء
كما هي فالامتياز بين الانسان وسائر الحيوانات ليس الا
بحسب القوة العقلية والفكرية التي تهديه الى معرفة الحقائق
والخير لاجل العمل به وان حصل على المرتبة الثالثة فمعناه ان
الله يهدي العبد المتبرى عن كل شئ سوى الله الى الله تعالى
ويكشف الغطاء عن قلبه ويوصله الى انسه وتجلي جناب قدسه
حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته اذ ليس في الوجود نور جمالا في مرايا
مصنوعاته بسبب التبري عن السوى والاقبال التام عليه
تعالى بالكلية قال الله تعالى ويهدي اليه من ينيب اي يقبل
اليه وقد ذكر القاضي ان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب
ثم تنتقل منه الى البصر فيشرق الله بصره وبصيرته بانوار
المعارف الالهية من مطالعة صحف الموجودات ولطائف
المصنوعات ففي الحديث اشارة الى ان الوصول الى الله
والتحقق بالمرتبة المرضية والفوز بالكرامة عنده لا يكون الا
بكسر النفس ورفض الشهوات واللذات ومكابدة الشدائد
والرياضات النفسانية التي بها يتوصل الى الاطلاع على خفايا
الملك والملكوت لان التبري عن كل شئ سوى الله الى
الله تعالى وصف جامع لها كلها ولا يكون ذلك بمجرد الايمان

فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لايقتضي غير الخلاص
من الخلود في العذاب وترجيح للعبد على ان يتوجه
اليه تعالى ويتبرأ عما عداه حتى لايبقى له مقصود فيحيا بالحق
وما يدرسواه فينتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت
فيستضيئ بانوار قدس الجبروت فيكون تحريضا على استبدال
ما عنده تعالى من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة
الفانية وحالي ان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في
ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى لايلاحظ نفسه
ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة
اليه وتنبيه على ان التقوى كمال جسيم ونفع عظيم
لو لم يحصل بنفس غيرها لكفتها لانها المستلزم للفوز بالنعيم
الاجل وعلى انها غير موجبة بدون مشيئة لان الاسباب دون
مشيئته لاغية اذ بها تمامها فينبغي للمتقي ان لايعتمد على تقواه
ولا يأمن من عذاب الله تعالى وان بالغ في طاعته لان
كثيرا ممن جال بسره عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب
الجبروت كمص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ماسوى
الحق فجعل سعيه هباء منثورا ويؤيده قوله تعالى ويتقوا يعلم
ترحمون حيث اتى بحرف الترجي لان الانسان لا يخلو في اداء
ماكلف به من التقصير فيس هو على يقين في خروجه عن عهدة
ماكلف به حتى يتيقن بترتب الثواب الموعود لمن اتى به
دليل ان اشتغال النفس لايكون الا باستفراغ الفكر ومواظبة العمل
لان التقوى سبب للمحبة التي هي عبارة عن الهدى والتوفيق في الدنيا

اياما تعلم

الثواب في العقبى حيث تتحقق عند تحققها وتنتفي عند انتفائها اما الاول فظاهر
واما الثاني فلانه ان انتفى الايمان يكون العبد كافرا وان انتفى
الاعمال البدنية او المالية يكون فاسقا وان التفت الى ماسوى
الحق يكون مشركا لان الشرك على ماذكره الصوفية
نوعان شرك جلي وهو ما عليه المشركون وشرك خفي
وهو تعلق القلب بالوسائط والاسباب الظاهرة والتوحيد
المحض ان يقطع العبد نظره عن الوسائط ولا يرى متوسطا
بينه تعالى وبين الممكنات الكائنة قال بعض اصحاب الحال
وجودك ذنب لايقاس به ذنب والهدى

يوجب التمكن منها والاستقرار عليها وذلك انما يحصل
باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج ليحصل كمال
القوة النظرية وبالمواظبة على محاسبة النفس في العمل
والتحلي بالاخلاص الذي هو ملاك الامر وبالفناء عن السوى (والبقاء بالمولى
ليحصل كمال القوة العملية فيكون بهذا الاعتبار ايضا اشارة
الى استكمال القوتين فقد ذكر صلى الله عليه وسلم خواص
امته وخلاصة اوليائه باشرف صفاتهم

التي اهلتهم للهدى وان فسرت بغير ارادة الهدى فمعنى
ان الله يحب العبد التقي ان الله يعينه على تقواه او يعطي
جزاءه او يحلي بانوار المعرفة والطاعة ويخلي عن ظلمة الجهالة
ودنس المعصية او يحفظ عن الالتفات الى ماسوى الحق

او يحدث له في القلوب مودة من غير تعرض منه لاسبابها
او يبقي الذكر الجميل على السنة العباد الى آخر الدهر او يجعله
على التفكر والنظر في الايات المنصوبة في الانفس والافاق
او يرى رؤيا صالحة او يتولاه بالفوز والكرامة والنعيم
الدائم او يثيبه او يجيبه اولا يخلف ما وعده من اجابة الدعاء
والاثابة على الطاعة له والتبتل اليه تعالى فان الالهية
تنافيه لان الخلف في الوعد نقص متضمن للكذب وهو
محال على الله تعالى بخلاف الوعيد فانه يجوز فيه الخلف ولو
من الله تعالى ولا يلزم الكذب لان الكذب يكون في الماضي
والخلف في المستقبل لان فساده ظاهر لانه عدم للمطابقة
مطلقا بالاتفاق بل لان الوعيد مشروط بالشرط وبعقدة
مسلة معلومة من شيء آخر كالاصرار او عدم التوبة او عدم
العفو فيكون في قوة الشرطية فلا يلزم الكذب اصلا
والشرط في قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وفي قوله تعالى ومن يظلم منكم نذقه وان عم كل من كفر وفسق
لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة
والاحباط بالطاعة والعفو والمغفرة ولا ينافي قوله تع
وما يبدل القول لدي لان تغيير بعض المذنبين لبعض
الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص
الوعيد فحينئذ يكون الكلام مشعرا بعلية الالهية للحكم المترتب
عليها وقد تقرر ان الجلالة اسم الذات المستجمع لجميع صفات
صفات الجلال والجمال لا مجرد الذات وبالجملة معناه ان الله
يحب العبد الموصوف بما ذكر من التقوى محبة لا شبهة فيها على ما يفيده حرف التحقيق
كقوله تعالى اني آنست نارا اي ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه
اي يحضه بنوع من البر على ما اقتضت حكمته وتعلقت مشيئته
بسبب تقواه وانارها من الاحوال المرضية واحسن عملا
اما بحسب الكمية واما بحسب الكيفية فان احسان العمل المستوجب
لمحبة الله على ما دل عليه قوله تعالى والله يحب المحسنين لا يحسن
اطلاقه في الحقيقة الا على الايمان والعمل الصالح وقد علل
الاحسان بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره
في قوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين وان كل فعل من الافعال
الاختيارية يحدث في النفس اثرا ولذلك يفيد تكريرها ملكات
فان كان ذلك الاثر اثرا يجذب الروح من حضرة الحق
الى الاشتغال بالخلق كان ذلك من موجبات الشقاوة
والخذلان وان كان اثرا يجذبه الى التبتل والانقطاع اليه
كان موجبا للسعادة والايقان والبر هو كمال الخير وبر الله
تعالى هو الرحمة والرضاء والجنة ووجه التخصيص انه اتى ما هو
المقصود منه والنافع عند ربه من الوفاء بما عهد اليه في الايمان
والتقوى بانزال الايات ونصب الحج وفيه اشعار بان
التقوى مبدأ الخير وحسن العمل والفائز بالثواب ونيل
المنى هو اهل التقوى لان مدار العمل على ثلثة اصول
الاول التوفيق وهو معتقبن قال الله تعالى ان الله مع المتقين

ومعيته تعالى نصرته فى المامور وعصمته من المحظور وتوفيقه
فى الامور الثانى اصلاح العمل وتقويته وهو التقبل
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
يصلح لكم اعمالكم اشارت قبول العمل وهو التقبل قال
الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فيكون كل من التقى
والغنى والخفى اما صفة مخصصة للعبد لان الاوصاف
اذا تكررت يجوز فيها ثلثة اوجه اتباع الجميع وقطع الجميع
واتباع البعض وقطع البعض الا انك اذا اتبعت البعض
وقطعت البعض وجب ان تبدا بالاتباع والعامل فيها
يجب لان العامل فى الموصوف عامل فى الصفة وعند بعض
من النحاة العامل فى الصفة كونه صفة لمرفوع او منصوب
او مجرور وهو معنى يعرف بالقلب فليس فيه لفظ
كما ان الابتداء والوقوع موقع الاسم كذلك فالعوامل
المعنوية ثلثة وانما ترك العاطف بين تلك الصفات
لانه مبنى عن تغاير المعطوف والمعطوف عليه والتغاير
ههنا لان تلك الصفات لموصوف واحد وهو العبد كما
فى قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور وان اختلف
الاعتبار اطلاقها وقد تخلل العاطف بين صفات موصوف
واحد تنبيها على ان كل واحدة من الصفات المتعاطفة
صفة كاملة كافية فى تعيين الموصوف وتميزه عما عداه
فصار الصفات المتعاطفة بذلك نازلة منزلة الذوات

الذوات المتباينة ويكون الموصوف نازلا منزلة الذوات
المتباينة فالصفات الجارية على واحد قد تذكر بالعطف
لمناسبة والتصريح بالاجتماع والدلالة على انه بما عطف
عليه فى حكم خصلة واحدة او للدلالة على استقلال كل واحدة
منها او لتغاير الوصفين فى ذاته او فى المقصود او لتغاير
الاعتبار وقد يترك عطفها اشعارا بعدم تغايرها وقد يذكر
فى موضع ويترك فى بعض تفننا فانه يوجب توجه النفس
والتخصيص والتوضيح هو الاصل فى الصفة ولا يعدل عنه
ما امكن فان الصفة قد تكون للمدح والثناء اذا تعين
الموصوف قبل اجرائها عليه وما ذكرناه فى توصيف العبد
من التخصيص والتوضيح ليس مبنيا على اصطلاح النحاة لان
معنى التخصيص عندهم تقليل الاشتراك الحاصل فى النكرات
نحو جاءنى رجل صالح فان رجلا كان بوضع الواضع محتملا
لكل فرد من افراد هذا النوع فلما قلت صالحا قللت الاشتراك
والاحتمال ومعنى التوضيح رفع الاشتراك فى المعارف
نحو زيد العالم والرجل الصالح فان المعرفة وان كانت موضوعة
لتستعمل فى شئ بعينه الا انه جاء بالصفة بعد بها لزيادة الايضاح
ولرفع احتمال ان يكون هناك شخص مسمى بزيد او معهودا بالمجئ
ان يعبر عنه بالرجل فيلتبس على السامع ما قصد بلفظ المتبوع
فلما جاء بالصفة حصل التوضيح وارتفع الالتباس بل هو مبنى
على ان الصفة المخصصة هى التى تدل على بعض المعانى الخارجة

عن مفهوم الموصوف كالتقي والغني والخفي فان كلا منها
تدل على معنى خارج عن مفهوم العبد وان الصفة الموضحة
هي التي كان مفهومها عين مفهوم الموصوف بحيث لو تميز
تميز احدهما عن الاخر بالاجمال والتفصيل كقولهم الجسم
الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله واما بدل
بعض من العبد للتخصيص كقوله تعالى ولله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا فان من استطاع بدل من
الناس مخصص له والشيء يجوز ان يكون بدلا بعد بدل
على ما سيجيء فتوصيف العبد ١٦ او الابدال توصيف او ابدال بامور
تستقل باقتضاء الحكم فيكون الحكم المستفاد من قوله يجب
مترتبا على تلك الاوصاف لان ملاحظة اتصاف
الذات بها متقدمة على الحكم فهي وان تاخرت لفظا تقدمت
معنى فيكون المجيء مترتبا من حيث المعنى اما على ما ترتب
المعلول على العلة واما ترتب المسبب على السبب فان اهل
المعقول والمنقول اختلفوا في السبب والعلة
فقيل انهما سواء وذهب اهل اللغة والنحاة الى الفرق بينهما
بان السبب ما يتوصل به الى امر ومنه بقوله تعالى فاخرج
به من الثمرات رزقا لكم وان العلة ما يدور عليه التاثير في امر
آخر ومنه بها بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
واما عند اهل الشرع فالسبب والعلة يشتركان في
ترتب الامر عليهما ويفترقان بان السبب ما يحصل الشيء

ام واحد هو اجتماع هذه الامور الثلثة واما على كل واحد من هذه
الامور الثلثة المترتبة بعضها على بعض في الوجود منه

الشيء عنده لا به والعلة ما يحصل به الشيء وذكروا في العلة
الخلاف في ان افعاله تعالى هل تعلل بالاغراض حقيقة
ام لا وانما يذكروه في السببية لان المسلمين اتفقوا على انه
تعالى لا يفعل فعلا خاليا عن حكمة ومصلحة الا ان تلك
الحكمة لازمة لفعله وليست حاملة له تعالى على الفعل عندنا
خلافا للمعتزلة والتقي والغني والخفي وان كان كل منها من عنده
تعالى من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله
تعالى الا ان تلك الصفات لما كانت ناشئة عن جهد العبد وسعيه جعلت
اضلالا واسبابا للمحبة الالهية وقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اسئلك حبك وحب من يحبك والعمل الذي
يبلغني حبك وقوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وقوله تعالى والله
يحب المحسنين يدل على ان الاعمال الصالحة والتقوى
والانفاق وكظم الغيظ والعفو عن الناس اسباب
موجبة للمحبة الالهية كما ان الكفر سبب موجب للعذاب
على ما يدل عليه قوله تعالى لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون وتحقيقه ان الموجودات الخاصة
وما يتبعها من الكمالات العلمية والفضائل العملية وان
كانت فائضة من الله تعالى المشتمل افعاله على حكم ومصالح لا تحصى
المنزه اثاره عن العلل الغائية والاغراض الكاملة عليها الا انها اذا
اوجد شيئا في محل يقوم به يسند ذلك الشيء

الى محله وان لم يكن لدخل في التاثير لا اليه تعالى كالاوصاف
المذكورة المرتبة في الذكر على حسب ترتيبها في الواقع فانها
تستند اليه دون الله تعالى وان كان قد اوجدها وان
السبب الحقيقي هو مشيته وارادته تعالى الا ان تعلقها
بوجود الحوادث وان كان يوجبه الا انها لا تتعلق بوجود
شئ منها الا عند تحقق اسبابها العادية التي من جملتها
سعي المكلف وبما شرعته لاسباب حصوله باختياره
فالسبب الاصلي لافعال العبد هو المحبة بمعنى الارادة
والمسبب لها هو المحبة بمعنى الاحسان الالهي التي هي الوسائط المعتبرة
في حصوله فيدل الحديث على ان تاثير الاسباب في مسبباتها
مشروط بارادته لانه لا يجد كل متمن ما تمناه ولا كل واحد جميع
ما يهواه وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته تع
اما الاول فظاهر واما الثاني فلان الارادة مسبوقة بالقدرة
والواقع بالمسبوق واقع بما هو سابق عليه هذا اذا اريد
من العبد المعنى العام الذي يتصف به كل مخلوق واما
اذا اريد منه الكامل في العبودية بالمعنى الخاص الذي
رضيه الله لعبده حتى اطلعه على خطاير قدسه ومجالس
انسه من الانقطاع عن الخلق الى الحق كما اريد من
الصالح الكامل في الصلاح بناء على ان اسم الجنس كما يستعمل مسماه
مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة
منه فان كل ما اوجده تعالى من الاجناس جعله صالحا

التوجه بمعنى الالهية

صالحا لفعل يخص به ومن اشرف ما خلقه لعان يخص به هو
الانسان فانه خلقه ليعرف خالقه ويعبده اياه فلا يكون
التوصيف والابدال تخصيصا الا ان كان العبودية بذلك المعنى
الى الملاء الاعلى الاستغراق في بحر التوحيد بحيث لا يزيغ البصر
عن جلال ذاته ولا خلاص عن السوى الا بالاستغراق
في حضرة المولى وقد ذكر القاضي في قوله تعالى واوفوا بعهدي
اوف بعهدكم ان اول مراتب الوفاء منا هو الاتيان
بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال واخرها
منا الاستغراق في بحر التوحيد ومن الله تعالى الفوز بلقاء
الله ثم فدى من قوله صلى الله عليه وسلم التقرير بان الله
يحب من اوفى بعهده بالاستغراق في بحر توحيده فتدبر فان
قلت فحينئذ اوادى فيكون توصيف العبد بها توضيحا
وابدالها منه تقريرا اما الاول فلاشتمال كل منها على ما استحب
عليه حال العبد من الوفاء بالعهد لان النفوى ملاك الامر
بعم الوفاء وغيره ومن التخلي بالصور الادراكية القدسية والا
الا عتزال لشهود الحضرة الالهية والصفة الموضحة

لا يكون الا بالاتصال

التفتن

بهذا المعنى يجب ان تكون مساوية لموصوف والتقي
بالمعنى الثالث وكل من والحق بالمعنى المذكور مساو لسعيد
بهذا المعنى لتصادقهما في الواقع بالفعل كليا من الجانبين
لان المفهومين ان كان بينهما تصادق في الواقع بالفعل
كليا من الجانبين فتساويان او من احد الجانبين فاعم

واخص مطلقا وتفارق دائم كليا من الجانبين فتبايناني
وان لم يكن بينهما تصادق ولا تفارق كلي منهما فاعم
واخص من وجه فالعبودية بهذا المعنى من اشرف صفات
الانسان ولذا فضل عبودية الرسول على رسالته
فقدم العبد على الرسول في شهادته وخص بالذكر
في سورة اسرائه وفي قوله تعالى وانه لما قام عبد الله
لان المراد بعبد الله النبي عليه السلام وصف بالعبودية للاشعار
بما هو المقتضي لقيامه على ما ذكره القاضي ولذا قال صلى
الله عليه وسلم ان الله يحب العبد دون البر او الانسان
اشعارا للمقتضي فتكون كالتقي والغني والخفاء علة موجبة
لما يراد من المحبة لا الذات بل بجعل الشارع ومقتضى وعلة
فان ترتب الحكم على الوصف الصالح لعليته يشعر بعلية
الوصف لذلك الحكم واختصاص الحكم بمن اتصف
بذلك الوصف لان الاصل عدم علة اخرى او لان
علية الوصف له يقتضي عدمه عند عدم الوصف لانتفاء
المعلول بانتفاء علته فيكون الكلام بمنطوقه دليلا على
اثبات المحبة لمن اتصف بهذه الصفات وبمفهومه
الدال على نفي المحبة عمن عداها ففيه اثبات المحبة للعبد
الموصوف بما ذكر من الصفات واثبات البغض لغيره
ضمنا ولا شك ان بغضه تعالى لاحد وارادته الانتقام
منه كان العقوبة ومؤد الى سوء الجزاء والمراد بالمنطوق

بالمنطوق ما دل عليه اللفظ في محل النطق وبالمفهوم ما دل عليه
لا في محل النطق بان يكون حكما لغير المذكور والمنطوق اما صريح
وهو ما وضع له اللفظ ودل عليه بالمطابقة او بالتضمن واما
غير صريح وهو ما لم يوضع له اللفظ بل يلزم مما وضع له اللفظ
فيدل عليه بالالتزام واما المفهوم فهو اما موافق لحكم المذكور
نفيا واثباتا او مخالف له والاول مفهوم الموافقة والثاني
مفهوم المخالفة فمفهوم الموافقة ان يكون المسكوت عنه
مخالفا للمذكور في الحكم ويسمى دليل الخطاب كمفهوم اللقب
والصفة والشرط والغاية والاستثناء وانما والعدد والحصر
فتخصيص العبد ههنا بالوصف او الابدال يدل على نفي المحبة
عمن عداها اذا لم يخرج مخرج العادة ولم يدل دليل على انه
لسؤال او حادثة او تعليم الحكم المخصوص لسامع الجاهل به
فالائمة الشافعية يعتبرون المفهوم المخالف ويجعلونه
كالمفهوم الموافق في اثبات الحكم واما الحنفية فلا يعتبرونه
ويفهمون من الاحكام المقيدة بقيد من القيود ثبوت
الحكم عند ذلك القيد ولا يفهمون انتفاءه عند انتفائه بل
يجعلون الكلام خاليا عن التعرض واما اختصاص المحبة بمن
اتصف بتلك الصفات فمبني على عدم العلة وليس مبنيا
على ان عدم الوصف علة لعدم الحكم الذي ثبت بنفس اللفظ
ان سيق الكلام له فعبارة والا فاشارة وما لا يثبت
بنفس اللفظ من الحكم فان كان مفهوما منه لغة فهي الدلالة

فالكلام تم

او شرعا فهي الاقتضاء، واما الثاني فلان البدل هو المقصود
بالنسبة وانه كالتفسير والبيان للمبدل منه فالكامل في التقوى
بالمعنى الثالث هو الكامل في العبودية بحسب الخارج لان
المدلولين اذا تغايرا بحسب المفهوم واتحدا بحسب الما صدق بناء على
جواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة كالحيوان
والمتحرك بالارادة يكون الاتحاد حقيقيا بحسب الخارج
فحينئذ تقرير النسبة لما يجئ من ان فيكون كل من التقي والمتقي
صفة موضحة للمتقين وردت بيانا وكشفا لكونك زيد الفقيه
المحقق لاشتمالها على ما اشتملت عليه حال التقي بالمعنى المذكور
من التحلي بالصور الادراكية القدسية
والانفراد للتمكن في حظيرة القدس وسيأتي ما يتعلق بايضاحه

وكقوله تع الذين يؤمنون بالغيب فانه
مجرور على انه صفة موضحة للمتقين لاشتماله على ما اشتملت
عليه حال المتقين من الايمان الذي هو اساس الحسنات
او صفة مادحة على تقدير ان يراد بالتقي المتقي بالمال وبالمتقي
المتفرد بكلامه علما وعملا كقوله تع اعدت للمتقين الذين
ينفقون في السراء والضراء فان الذين ينفقون صفة
مادحة للمتقين والصفة المادحة ما يدل على اشرف المعاني
الفاضلة الداخلة في مفهوم الموصوف كالصفات الجارية
على اسم الله تعالى ففيه اشارة الى حال الواصلين
الى الله تعالى من الشكر والقيام بالقرآن او مقطوعا

من ان البدل في حكم تكرير العامل وتكريره يتكرره النسبة لما مر وتوضيح
المتبوع المذكور ايضا من حيث انه مذكور بعده في مقام التفسير والبيان
وذلك يستلزم كون البدل ابين واوضح في الاتصاف بما ثبت للمبدل
منه اذ لولاه لما صح كونه مفسرا

او مقطوعا لكون الموصوف معلوما بدون صفته فحينئذ يجوز فيه الامران الرفع
باضمار فعل لايق والرفع على انها خبر مبتدا محذوف ولا يجوز
اظهار هذا ان ناصب ولا هذا المبتدا، والمقطوع عن التبعية
للموصوف قد يخالفه في الاعراب وقد يوافقه وفي الحديث
اشارة الى ان التقوى اقصى كمالات القوة العلمية لانها
كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وقوبنه الله
تعالى بقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون على انها منتهى درجات السالكين
وهو التبري عن كل شئ سوى الله الى الله لان السالك
في مبداء حاله يتوجه الى جناب ربه بالمداومة على ذكره والتفكر
في اسمائه والاستدلال على الصانع بمصنوعاته في الانفس
والاخاق فيتقرب اليه بانواع الطاعات واصناف
الرياضات لان التبري عما سوى الله انما يكون بعد الايمان
به والرغبة فيما عنده تع فيترقى من طور الى طور آخر اعلى
من الاول فيتبرى عن كل شئ سوى الله وينقص عن نفسه
بالكلية حتى يتجلى له ملاحظة جناب قدسه بحيث لا يلاحظ
شيئا الا لاحظ ربه وما التفت شيئا الا يرى ربه
فيكون النفس في هذه المرتبة متأدبة بالاداب النبوية
ومتخلقة بالاخلاق الالهية سالكة في درجات المقامات
سائرة بانوار الصفات طائرة باجنحة التجليات منورة بشموس
التجليات مذابة في ظهور نور الصفات محوة في تجلي الذات

بهذا المعنى

تع الله

فيكون الحكم مترتبا على على مراتب التقوى الذى هو منتهى
درجات السالكين واول درجات الواصلين ومحمولا
على التجلى التام كما حمل الرؤية فى قوله عليه السلام رايت
ربى عز وجل على التجلى التام بعد ما حملت على المعاينة اى
رايت وشاهدته بامن شهدة العينية منزهة عن الكيفية
وذلك للمؤمنين فى الاخرة والافراد من الانبياء فى بعض
الاحوال فى اولى النشاة او بامن شهدة القلبية التى هى
التجلى التام وقد روى عنه عليه السلام لى مع الله وقت
لايسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل وكما حمل النزول
فى حديث ينزل ربنا على التجلى مطلقا او على التجلى الصورى
فمعنى ان الله يحب العبد التقى ان الله يتجلى له باسمائه وصفاته
ويشرق بصيرته بنور معرفته حتى لايرى فى الكونين
شيئا سواه ولا يذكر فى الدارين الا اياه وبهذا المعنى
نبعة كلام الانبياء والمرسلين وباقى الاحكام والامور
من العوارض فى سيرة السالكين واما الغنى بتشديد
الياء فمن الغنى بالكسر والقصر ضد الفقر اذ الغناء بالكسر والمد
التغنى وبالفتح والمد هو النفع فالتقابل بينهما تقابل التضاد
لان المتقابلين وهما اللذان لايجتمعان فى شئ واحد من جهة
واحدة اربعة اقسام الضدان والمضافان والمتقابلان
بالعدم والملكة والمتقابلان بالايجاب والسلب لانهما
اما ان يكونا وجوديين او يكون احدهما وجوديا والآخر

والآخر عدميا فان كانا وجوديين عاما ان يتعقل كل منهما بدون
الآخر فهما الضدان كالفقر والغنى فان الفقر والغنى صفتان
وجوديتان يمكن ان يتعقل كل منهما بدون الآخر الا ان حقيقة
الغنى لاتحقق الا بكثرة العرض وفضول المال وحقيقة الفقر
تحقق بعدم الملك لابمجرد الاحتياج وبعد المال عن اليد
ولذا لايسمى ابن السبيل فقيرا مع يدل عليه قوله تعالى للفقراء
المهاجرين اولا فهما المضافان كالابوة والبنوة فان الابوة
انما تتعقل بالنسبة الى البنوة وبالعكس وان كان احدهما
وجوديا والآخر عدميا فالعدم اما عدم الوجودى عن الموضوع
القابل فهما المتقابلان بالعدم والملكة كالحيوة والموت
فان الحيوة يقال للقوة النامية فى النبات والحيوان
ويقال للقوة الحساسة او لما يقتضيها ويقال للقوة المخصوصة
بالانسان من العقل والعلم والايمان الآنه حقيقة
فى القوة الحساسة اوما يقتضيها وان الموت بازاء الحيوة
يطلق على معان ثلثة تقابل المعان الثلثة للحيوة تقابل
العدم والملكة الآنه حقيقة فيما يقابل الحيوة من القوة
الحساسة اوما يقتضيها فالموت الحقيقى عدم الحيوة باحد
المعنيين عمن اتصف بها بالفعل كما فى العمى الطارى بعد
البصر لا فى مطلق العمى ومجاز فى المعنيين المقابلين
للحيوة بمعنى القوة النامية وبمعنى الفضائل الانسانية
فالتقابل بينهما كالتقابل بين البصر ومطلق العمى فان

زوال الحيوة بعد ثبوتها ليس بشرط في الموت المجازي
بخلاف الحقيقي وقيل ان الموت صفة وجودية كالحيوة
فيكون بينهما تقابل تضاد فان الضدين امران وجوديان
يتعاقبان على موضوع واحد بينهما غاية الخلاف واستدل
على كون الموت امرا وجوديا بقوله تعالى خلق الموت فان
الخلق هو الايجاد والايجاد لا يتعلق بالامر العدمي ولم يتفطن
بان المراد هو التقدير والامور كلها وجودية او عدمية مقدرة
في الازل اولا فهما المتقابلان بالايجاب والسلب لان
السلب رفع الايجاب وهذا التقابل راجع الى القول والعقد
فان اعتبر فيه الحكم بالفعل فمركب والا فبسيط والغني
كالمغني من الاسماء التي تطلق على الله وعلى غيره وفيها اقوال
ثلثة الاولى انها حقيقة في الله مجاز في غيره الثاني عكسه
الثالث انها حقيقة فيهما ولم يرد بالحقيقة الوضعية
اللغوية بل الحقيقة العقلية او العرفية الشرعية واظهر
الاقوال القول الاخير فاذا اطلق على الله تعالى يراد به الذي
لا يحتاج الى احد في شيء مما يحتاج كل احد اليه في ذواتهم
وصفاتهم وشئونهم وبعين وبهذا هو الغني المطلق
الذي اشير بقوله تعالى ذو الجلال والاكرام اي ذو الاستغناء
المطلق والفضل العام والفقير هو المحتاج وهو شان كل
عبد جليل او حقير فان الممكن حال بقائه لابد من حافظ عن فنائه
فلا يخلو مخلوق عن الاحتياج الى ايجاد واحداد ولذا قال

قال الله تعالى والله الغني وانتم الفقراء فمن عرف نفسه بالفقر
عرف ربه بالغني والصوفية فيه اصطلاح وهو ان الفقر عبارة
عن الزهد فيسمون من اتصف به فقيرا وان كان غنيا بالمال
واما المسكين فهو عندنا اسوء حالا من الفقير كما يدل عليه
قوله تعالى او مسكينا ذا متربة خلافا لمن نفى رحمه الله حيث قال
الفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته والمسكين
من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه
استدلالا بقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين فانه يدل
على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكف وانه
عليه الصلوة والسلام يسئال المسكنة ويتعوذ من الفقر
واجيب بانها كانت لهم عملا وكسبا لا ملكا وتصرفا واما الفقر
الذي استعاذ منه صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم
اني اعوذ بك من الفقر والذلة فهو فقر النفس اعني الشره الذي
يقابل غنى النفس الذي سيجئ ذكرها يعني اعوذ بك من
نفس حريص على جمع المال ممتنع عن تحصيل الكمال او فقر
اليد الذي يؤدي الى الاستعاذة منه الاستعاذة من الفقن
المترتبة عليها كالجزع بقلة الصبر وعدم الرضاء بالقضاء
او الفاقة اي شدة الحاجة الى الخلق فان الفاقة والعالة
لا سيما في الشيخوخة اصعب او عدم الاتصاف بصفات
الكمال او قلة المال مع كثرة العيال ومن المقرر انه صلى
الله عليه وسلم ما كان يعيش بالسعي والكد وانما يعيش

بالجهاد والجد في الطاعة والتوكل والاعتماد على ربه وقنوعه
عليه كنوز الدنيا وصيرورة جبالها ذهبا فاعرض عنها واختار
الفقر مع الغنى استغناء برزق المولى قائلا اجوع يوما فاصبر
واشبع يوما فاشكر وقد قال ورزق ربك خير وابقى لان
خفة الحال اهون شئ في باب النبوة ولذلك كان اكثر الانبياء
قبله وغالب الاولياء بعده كذلك لان النبوة رتبة
روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات
القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية وفي كونه
صلى الله عليه وسلم مائلا الى كونه من الفقراء والمساكين
اباء الى انه الحال الاكمل والمقام الافضل ولذا ذهب جمهور
العلماء وعامة المشايخ الى ان الفقير الصابر افضل من الغني
الشاكر وسيجئ الاشارة الى ما هو الحق فيه واما المغني فهو
الذي يغني من شاء من عباده بما شاء من انواع الغنى
وافضلها غنى القلب وكثرة المعرفة بالرب واذا اطلق

الغنى على العبد فالمراد بالغنى اما من له الغنى عن الخلق
لان الغنى نوعان غنى بالشئ وغنى عن الشئ فمعناه
ان الله يحب العبد المستغني عن الخلق لان الاستيناس بالناس
من علامات الافلاس اي يغزه الله عليه ويدل عليه ما رواه
البيهقي والحاكم عن سهل بن سعيد والبيهقي عن جابر
رضي الله عنه وابو نعيم عن علي رضي الله عنه واعلم ان
شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناءه عن الناس

عن الناس واما من له الغنى بالنفس ويؤيده ما روى الشيخان
عن ابي هريرة رضي الله عنه ليس الغنى عن كثرة العرض
وانما الغنى غنى النفس يعني ليس الغنى المحمود والمعتبر ما حصل
عن كثرة العرض والمتاع انما المحمود غنى النفس اي قطع الامال
من الاموال التي بايدي الناس والاعراض عنها بالقلب
فغنى النفس اما عبارة عن القناعة وهي الرضا بالقسمة
والاكتفاء بقدر الضرورة ويوقع الاجر العظيم في
الاخرة فاذا رزق العبد السكون الى قضاء الله تعالى
والرضا به فقد اوتي الغنى الاكبر فمعناه ان الله يحب العبد
القانع الراضي بما قسم الله له قال عليه السلام اتق المحارم
تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس
والله تعالى كامل في ذاته واسمائه وصفاته وافعاله وله
الكمال المطلق من كل وجه ويحب اسمائه وصفاته وظهور
اثارها في خلقه فانه من لوازم كماله وهو غني يحب الغنى
كما انه جميل يحب الجمال اي التجمل في الهيئة او في قوله اظهار
الحاجة لغيره او يحب الاتصاف بالصفات الحميدة
ولذا ورد اطلاق الحميد على الله تعالى وايضا يؤيده ما روى
عن ابن مسعود رضي الله عنه الغنى هو الياس مما في ايدي
الناس يعني اذا يئس العبد مما في ايدي الناس استغنى
قلبه بالحق وسكنت نفسه اليه وصار حرا عن رق الشهوات
ورق المرادات ورق الرسوم فيحصل بصفاء توحيد قلبه الاعتقاد

يحب

بان الخلق من ذروة العرش الى تخوم الارض لا يستقلون
بنفع ولا ضر الا باذن الله وتسخيره ومن كف نفسه عن الطامع
قرت وعظمت وحصل لها من الخلوة والعزلة والشرف
والمدح اكثر من الغنى الذى ينال من كان فقير النفس فمن اراد
غنى النفس فليتحقق فى نفسه انه تعالى هو المعطى المانع فيرضى
بقضائه ويشكر على نعمائه ويفزع اليه فى كشف ضرائه
ويتفرغ لعبادته ويقتصر همه على الاخرة وقد روى احمد بن حنبل
رحمه الله تعالى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان الله يقول
يا ابن ادم تفرغ لعبادتى املا صدرك غنى واسد فقرك
وعن الحسن مرسلا ان العبد اذا كان همه الاخرة كف الله
عليه ضيعته وجعل غناه فى قلبه فلا يصبح الا غنيا ولا يمسى
الا غنيا واذا كان همه الدنيا افشى الله عليه ضيعته وجعل فقره
بين عينيه فلا يمسى الا فقيرا ولا يصبح الا فقيرا واما عبارة عن
التوكل على الله تعالى فمعناه ان الله يحب العبد المتوكل على الله
تعالى فى مجامع الامور اى ينصره ويهديه الى كمال الصلاح
لاتجاده على الله بشراشره والكمال فى الصلاح وهو الذى
لا يشوبه كبير ذنب ولا صغيره منتهى درجات المؤمنين
وقيل الكاملون فى الصلاح
هم الانبياء عليهم السلام فان صلاحهم معصوم عن كدر
الفساد والمراد من المتوكل المشتغل بالطاعة ولذا
قدم التقى عليه ويدل عليه قوله تعالى ومن يسلم وجهه

وجهه الى الله وهو محسن اى فى عمله والنصرة هو الاعانة والدفع
عما يضره فالنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر
والهداية قد سبق بيانها والصلاح صفة حقيقية ذاتية
تفضل الله بها واودع فى العبد بها تنال سعادة الدارين
وما سواها من النبوة والرسالة والولاية ناش عنها
فصلاح كل احد بحسب حاله وهو يوجب الاتيان بما ينبغى والتحرز
عما لا ينبغى ولذا فسر الصلاح به والصلاح من ابلغ الصفات
واعظمها ويدل عليه قوله عليه السلام فى مدح القلب بانه
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله فصلاح القلب بالايمان
والعرفان والاحوال وصلاح الجسد بالجد فى الطاعة وفيه
حث على التوكل والاستسلام للقضاء لان التوكل
كما يتعلق بالايمان وجوبا يتعلق بالاسلام حصولا فمن امن
فقد وجب التوكل فان الايمان بان الكل منه يقتضى
ذلك ومن اسلم فقد حصل له التوكل لان الاسلام
عبارة عن الاستسلام والانقياد لتكاليف الصادرة
من الله تعالى واظهار الخضوع وترك التمرد والتوكل عبارة
عن تفويض الامور بالكلية الى الله تعالى والاعتماد عليه
فى جميع الاحوال فمن توكل فقد استسلم لقضاء الله تعالى
وهو الحكم بالكليات على سبيل الاجمال كما ان القدر الحكم
بوقوع الجزئيات التى هى تلك الكليات على سبيل
التفصيل وقبل القضاء عبارة عن ثبوت صور جميع

ط فى الازل

الاشياء في عالم العقول على وجه الجملي الكلي والقدر حصوله
في عالم النفوس على الوجه التفصيلي الجزئي مطابقة لما
في المواد الخارجية مستندة الى اسبابها وشرائطها واجبة
بها لازمة لاوقاتها ويشملها العناية الالهية المسماة بالعناية
الاولى شمول القضاء للقدر والقدر لما في المواد الخارجية
وهي احاطة علمه بالكل على ما هو عليه وقد ذكر في قوله تعالى
وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ان القضاء قد يطلق على
تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه وقد
يطلق على وجود الموجودات في اللوح المحفوظ اجمالا
والقدر هو تفصيل قضائه السابق بايجادها في المواد الخارجية
واحدا بعد واحد والرضاء بالقضاء باب الله الاعظم وقد قال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه النسائي والحاكم والطبراني
واستنكف الرضاء بالقضاء اي طيب النفس بما قدره الله وقضاه
من الامور الكونية وبما حكم فيها امر به ونهى عنه من الاحوال
الشرعية ولا ينافي ما روي عنه عليه السلام اللهم انا نعوذ
بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء لان
الرضاء لا ينافي الاستعاذة من سوء القضاء قبل وقوعه
وسوء القضاء عبارة عما يسوء الانسان ويوقعه
في المكروه او المراد بالقضاء المقضي لان حكم الله تعالى كله حسن
لا سوء فيه وانما السوء في المقضي كالجذام والبرص والطاعون
والوباء اما الجذام والبرص فهما علتان لازمتان مع ما

مع ما فيهما من القذارة والبشاعة وتغير الصورة وقد اتفقوا
على انهما يتعديان الى الغير والله العاصم وفي القاموس
الجذام كغراب علة تحدث من انتشار السوداء في البدن
كله فيفسد مزاج الاعضاء وبنياتها وربما انتهى الى تأكل
الاعضاء وسقوطها عن تقرح انتهى

وقد استعاذ صلى الله عليه وسلم منهما
ومن سيئ الاسقام وقد روى البخاري في التاريخ الكبير
اتقوا المجذوم كما يتقى الاسد واما الطاعون فهو وخز الجن
كما ورد به الحديث واما الوباء فهو اعم فهو جوهر الهوى او المرض
العام فهو غير الطاعون لخبر الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله
عنه على ابواب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال
مع خبرهما عن عائشة رضي الله عنها قدمنا المدينة وهي اوبى
ارض الله الحديث وفيه قول بلال رضي الله عنه اللهم العن
شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وامية بن خلف
كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوباء فلو كان الطاعون
هو الوباء لتعارض الخبران ولا ينافي اطلاق احدهما
على الاخر مجازا او ان من له الغنى بالعلم ففيه ايماء الى شرف
العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه ويدل عليه ما روى ابن النجار
عن ابن عمر رضي الله عنه اللهم اغنني بالعلم وزينني بالحلم واكرمني
بالتقوى وجملني بالعافية وقد عرفت ان افضل انواع الغنى
معرفة الله فمعناه ان الله يجب ان يعبد حق عبادته بمعرفة ذاته وصفاته

وافعاله تعالى لان استكمال النفس الناطقة بمعرفة الموجودات
باقسامها من الواجب وصفاته والجواهر والاعراض
القائمة بها حتى تصير عالما معقولا مشابها لعالم الكبرى فكما
تحققت فيها اجناس الموجودات المذكورة كذلك تحققت
في النفس صور جميع الموجودات من اجناسها وانواعها
واصنافها واجل هذه المعارف معرفة ذات الواجب
بصفات جماله وجلاله وذلك اما بطريق النظر والاستدلال
لان قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم الى اخره
يدل على ان الطريق الموصل الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته
واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله لان
من علم يقينا لزوم شيء لشيء وعلم مع العلم باللزوم وجود
الملزوم او عدم اللازم علم يقينا من الاول وجود اللازم
ومن الثاني عدم الملزوم وان من علم يقينا ان العالم ممكن
وان كل ممكن فله سبب علم قطعا ان للعالم سببا فعلم ان النظر
الصحيح يفيد العلم في الالهيات وغيرها وانه يعد الذهن
والنتيجة تفيض عليه حقيقة عادة لانه لا مؤثر في شيء سوى
الله ولا وجوب عليه وانه كاف في معرفة الله تعالى وقوله
تعالى فلينظر وا ما في السموات والارض ونحوه من الايات
يدل على وجوبه لانه امر عباده بالنظر والتفكر والامر ظاهر
في الوجوب واما بطريق الرياضة والمجاهدة لان قوله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اول دليل على ان من

ان من سلك مسلك المجاهدة فبذل جهده في الذكر والعبادة
لا يزال يستنير قلبه بانوار المشاهدة لان المراد بالهداية في تلك
الاية ما هو مختص بسبيله الانبياء والاولياء وهو ان يكشف
على قلوبهم اسرار وبريهم الاشياء كما هي في نفس الامر
بالوحي او بالالهام والمنامات الصادقة وحاصل الاول استكمال
النفس بالقوة النظرية والشرقي في مراتبها فان النفس
في مبداء الخلقة خالية عن الكمالات لكنها مستعدة لها فيحتاج
الى الآلات البدنية المختلفة كالة الابصار والاسماع وغيرها
فاذا التفت النفس الى البصر تيسر لها بواسطته ادراك المبصرات
وكذا في سائرها فاذا حصلت لها المحسوسات بالآلات وتنبهت
من مشاركاتها ومبايناتها حصلت لها البديهيات وبواسطتها
استعدت لادراك النظريات فاذا ادركت النظريات
وشاهدت ايا ما مرة بعد اخرى صارت مخزونة عندها
بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت فيحصل لها الكمال
بمشاهدة النظريات وحاصل الثاني الاستكمال بالقوة
العملية والشرقي في درجاتها فان النفس اذا هذبت ظاهرها
عن الافعال الدنية وباطنها عن الاخلاق الردية وتحلت
بالصور الادراكية القدسية يتجلى لها ملاحظة جمال الله
وجلاله وقصر النظر على كماله في ذاته وصفاته وافعاله فيحصل
لها الكمال بنور يظهر في القلب عند تطهيره عن الصفات
المذمومة والمراد بالنور نور المكاشفة لان النور على اربعة اوجه

تجلي الذات

اولها نور يظهر الاشياء للابصار وهو لا يراها كنور الشمس
وامثالها فانها يظهر الاشياء المخفية في الظلمة ولا يراها وثانيها
نور البصر وهو لا يظهر الاشياء للابصار ولكن يراها وثالثها
نور العقل وهو يظهر الاشياء المعقولة المخفية في ظلمة الجهل
للبصائر وهو يدركها ويراها ورابعها نور الحق وهو يظهر
الاشياء المعدومة المخفية من العدم للابصار من الملك والملكوت
وهو يراها في الوجود كما يراها في العدم فانها موجودة في علم الله تعالى
وان كانت معدومة في ذواتها فالعلم الحاصل بنور يظهر في القلب
هو علم الباطن وقد يسمى الصوفية العلوم الحاصلة بطريق
المكاشفة العلوم اللدنية واليه يشير ما روى الديلمي
عن علي رضي الله عنه علم الباطن سر من اسرار الله عز
وجل وحكم من احكام الله يقذفه في قلوب من يشاء
من عباده ويسمى اهل هذه العلم العالم بالله كما ان حجة الاسلام
الامام الغزالي اراد صلى الله عليه وسلم بقوله فضل العالم على العابد
كفضلي على امتي العالم بالله لان العلماء ثلثة عالم بالله غير
عالم بامر الله وعالم بامر الله غير عالم بالله وعالم بالله وبامر الله
اما الاول فعبد قد استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار
مستغرقا في مشاهدة نور الجلال وصفات الكبرياء فلا يتعلم
علم الاحكام الا ما لا بد منه فمثله كمثل القمر يزيد تارة وينقص
تارة واما الثاني فعبد عرف الحلال والحرام ودقايق الاحكام
لكنه لا يعرف اسرار جلال الله فمثله كمثل السراج يحرق

بحرق نفسه ويضيء لغيره واما الثالث فهو جالس على حد مشترك
بين عالمي المعقولات والمحسوسات فهو تارة مع الله وتارة مع الخلق
فمثله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص فمعناه ان الله يحب العبد
الغني بما يكمل به نفسه من المعارف الحقيقية والحكم الالهية المسطورة
في قلوب اوليائه المشار اليها بقوله تعالى وكتاب مسطور فالمراد
بالعلم في غنى العلم اما العلم بالله كما عرفته واما العلم بالحقايق بدلائلها
كالواجب وصفاته والجواهر والاعراض واما العلم بجميع الاحكام منها يتعلق
بكيفية العمل ومنها ما يتعلق بالاعتقاد واما العلم من الدلائل والاحكام
ما يحتاج اليه العبد معاشا ومعادا واما العلم النافع في الدنيا والعقبى
وهو العلم الذي يعمل به اويعلم لمعرفة الحق
ويخبر للاعتقاد والعمل والى ذلك اشار صلى الله عليه وسلم
بقوله اللهم انفعني بما علمتني اي عملا وتعليما وعلمني ما ينفعني اي
كمالا وتكميلا وزدني علما اي لدنيا وفهما عنديا الحمد لله على كل حال
اي موجب لمزيد الكمال واعوذ بالله من حال اهل النار
فان شر الاحوال والاهوال سريعة الانتقال والزوال والعلم
الذي يحتاج اليه في الدين وهو علم الكتاب والسنة والعلم الذي
يتوقف عليه علمها او علم يهذب اخلاق الباطنة فيسري في الاعمال
الظاهرة في العاجل ويعود الى الثواب الآجل ويؤيده ما روى
ابن ابي شيبة والحكيم عن الحسن مرسلا العلم علمان فعلم في القلب
فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم
وما قاله الامام الغزالي من ان العلم النافع هو ما يتعلق بالاخرة

وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضى
عند الله تعالى والعلم لا يذم لذاته بل لاسباب ثلثة اما لكونه
وسيلة الى ايصال الضرر والشر كعلم السحر والطلسمات
فانها لا يصلحان الا لاضرار او لمجرد العلم بالسحر غير مقصود
ولا نافع في الاولين والتحرز اولى واما لكونه مضرا لصاحبه في حال
الامر كعلم النجوم واقل مضاره انه شروع فيما لا يعني وتضييع العمر
وغفلة عن الذكر والفكر كعلم الانساب فانه علم لا ينفع وجهل
لا يضر واما لكونه دقيقا لا يستقل به الخائض كالبحث عن الاسرار
الالهية وقد استعاذ صلى الله عليه وسلم من نوع من العلوم
كالاستعاذ من الشرك والنفاق ومساوى الاخلاق وهو العلم
الذي لم يقترن به التقوى فانه باب من ابواب الدنيا واما من له
الغنى بالعمل لان الغنى الاعظم هو الغنى بطاعة الله تعالى
ويمكن ان يراد بالعمل ما يعم احوال الجوارح من الطاعة ومرضيات
الاحوال القلبية من الحكمة والعفة والشجاعة كما اريد من العمل
في قوله تعالى ايكم احسن عملا ما يعم عمل القلب وعمل الجوارح والمعنى
ايكم اكمل علما وعملا اما الحكمة فقد اطلق العلماء على معان كثيرة
منها معرفة الحقايق على ما هي عليه بقدر الطاقة وهي الفضيلة
المتوسطة بين الجربزة والبلادة ونتيجة العلم المتصف بالاحكام
المشتمل على المعرفة بالله المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب
النفس وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل
والحكيم من له ذلك ومنها ما هو المتعارف بينهم من استكمال

استكمال القوة العلمية ومنها

استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب
الملكة التامة على الافعال الفاضلة وغير ذلك من المعاني المتفاوتة
والمتقاربة واما العفة فهي فضيلة متوسطة بين الخلاعة والجمود ونتيجة تهذيب القوة الشهوية
والانقياد بالقوة العقلية ليكون تصرفاتها بحسب اقتضاء القوة
العقلية تسلم عن استعباد الهوى اياها واستخدام اللذات
واما الشجاعة فهي فضيلة متوسطة بين التهور والجبن ونتيجة تهذيب القوة الغضبية ومطاوعتها للقوة العقلية
ليكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب في الامور الهائلة
وتلك الفضائل الثلثة امهات الفضائل يحصل من امتزاجها
حالة متشابهة هي العدالة وهي تقتضي الرسوخ على الصراط المستقيم
فالعلم والعمل جوهران متلازمان لاجلها انزلت الكتب وارسلت
الرسل لان الايات انزلت والاحكام شرعت لتكميل النفوس
بحسب القوة النظرية اذ العقل قاصر عن ادراك جزئيات المصالح
والاكثر عن ادراك كلياتها وتكميلها بحسب القوة العلمية وكمالها
باعتبار القوة الاولى معرفة الحقايق ومن اخل بها فهو جاهل
ضال وكمالها باعتبار القوة الثانية العمل والقيام بما هو
اللايق ومن اخل به فهو فاسق ومغضوب ولكل منهما خلاصة
فخلاصة العلم التوحيد وخلاصة العمل الاستقامة اما التوحيد
فقد عرفته واما الاستقامة فهي اتباع الحق والقيام بالعدل
وملازمة المنهاج السواء وهي بالنظر الى كمالاتها انواع استقامة
اللسان واستقامة القلب واستقامة النفس واستقامة الروح
واستقامة السر فاستقامة اللسان بالنطق بالحكمة
واستقامة القلب بصدق الهمة واستقامة النفس بحسن

الحذقة واستقامة الروح بعظيم الحرمة واستقامة السر الاشتغال
بالمنعم دون النعم وما روى عن الخلفاء الراشدين في معنى
الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرايض
فجزئياتها ففي الحديث اشارة الى ان العبد الموصوف بما ذكر
من الغنى بالعلم بالمعنى المذكور جامع بين السلامة من الغضب
والضلالة والى انه خير وعدل لان من كان مزكى بالعلم والعمل
جامعا بينهما يكون عدلا خيرا والى انه على صراط مستقيم على ما سبق ولذلك
يقتدى العالم العامل بعلمه في افعاله ولا يقتدى بغيره والى ان
من لم يستكمل نفسه بالتوحيد والاستقامة ولم يتخلق بالاخلاق
الملكية لا يبوء في منازل الكاملين لان العبد خلقت من نطفة
مدرة فلا تناسب عالم القدس فمعنى ان الله يحب العبد الغني
بالعلم بالمعنى المذكور ان الله يرفعه خاصة درجات عليه ويوصله منازل رضيه لسبب
ما جمع من العلم والعمل وفيه دليل على ان الاقبال على العلم
والعمل محمود وتنبيه على ما به يستعد النفس خلافة الحق ورياسة
الخلق وهما الكمال في العلم والعمل لان الغني من صيغ المبالغة
قال الله تعالى رب هب لي حكما اي كمالا في العلم والعمل استعد
به خلافة الحق ورياسة الخلق وفي الحديث ايما الى ان الله
يحب خليفة الحق ورئيس الخلق واما من له الغنى بالقرآن
يؤيده ما روى ابو يعلى في مسنده ومحمد بن نصر عن انس
رضي الله عنه القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه لان فيه
اشارة الى انه لا غنى فوق الغنى بالقرآن لان الغنى بالقرآن

على ما سيجي تمه

بالقرآن عبارة عن القيام به علما وعملا ولا يخفى ان جميع العبادات
لا تخرج عن العلم بالقرآن المشتمل على الطاعات القلبية والبدنية
قولا وفعلا والهادي الى غايته كمال العباد والداعي الى غايته نظام
صلاح المعاش والمعاد من الاعمال القلبية والقالبية والجامع
لوجوه السعادة والنجاة ولقد روى ابن عساكر عن ابي ذر
رضي الله عنه اغنى الناس حملة القرآن من جعله الله تعالى في جوفه
ففيه بيان شرف القرآن لانه اساس الدين ومنشأ الشرع
المبين واعظم الوحي لاشتماله على اصول العلم الهامة في اصلاح
المعاش والمعاد واعز الكتب اذ هو بالمجازة واشتماله على خلاصتها
مصدق لنفسه ومصداق لها فهو الكاشف لظلمات الشك
والضلال واما من له الغنى بالمال فمعنى ان الله يحب العبد الغني بالمال
ان الله يثيب العبد الغني الشاكر بما يليق بلطفه وكرمه ويقبل اليسير
منه ويعطي الجزيل اذ لا يتوصل الى ثواب الله تعالى في الاخرة
بالمجد والغنى وانما ذلك بالشكر له تعالى قال صاحب الصحاح
في حديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى غناه
غناه وانما ينفعه العمل الصالح انتهى والشكر له تعالى من العبد
الغني بالمال انما يبذل المال في مرضاته تعالى تقربا اليه والشفقة
على الناس وتلفيا للنعمة به على شاكلة المخلصين من عباده
وانما خصه بالذكر من بين امهات الاعمال لكثرة منافعه فيكون
اشارة الى استكمال القوة العملية التي منتهى كمالها الاستغراق
في شكر نعماء الله تعالى والاتيان بانفاق المال وهو يحقق الانفاق

بما ليس بواجب من الصدقات والانفاق الواجب في سبيل
الله والانفاق الشامل للقسمين وهو صرف المال في سبيل
الخير فرضا كان او نفلا وافضل انواعه الزكوة وهي من زكى
الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر فضيلة
الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث
والنفس من البخل ففي الحديث دلالة على الحقوق التي يجب
على العاقل ان يراعي في كل ما يأتيه وما يذره احديها من حق
الله وحق العبد وحق النفس واذا تزاحمت يقدم حقوق
العباد فان لله حق على العباد وهو اطاعتهم وثناؤهم
واشعارهم بامره وانتهائهم بنهيه تعالى واليه اشار بالتقى
لان الايمان والطاعة الحق الذي اقتضاه دلائل العقل
وشواهد النقل ولعباد حق على الله تعالى وهو ثوابهم الذي
وعدهم به فانه واجب الانجاز ثابت الوقوع بوعده الحق واخباره
الصدق واليه اشار بقوله يحب وللعبد على العبد حق
وهو حسن المعاشرة بالانفاق واليه اشار بالغنى بالمال
واشارة الى ان العبد الموصوف بما ذكر من التقوى
والغنى بالمال من الصالحين لان الصالح من قام بحق الله
وحق العبد والى انه ينبغي للعبد ان يزكي نفسه عما يجب تطهيرها
عنه ولذا خص الايمان بالله من العقائد والانفاق من الاعمال
بالذكر لان اقبح العقايد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل
ففي الحديث تحريض على الجمع بين حفظ النفس عن الفقر والجلاء

والجلاء الحقيقيين بالتقوى عما يذلها ويرديها ويصرفها عن الحق
الابدية فانه الفقر الحقيقي والتجنب عن اقتراف ما يسفرها
عن الجنة التي هي دارها فانه الجلاء الحقيقي فان الجنة هي المأوى
الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وبين حفظ المال الذي
هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها بالتقوى عن وضعه
في غير موضعه وصرفه على غير وجهه واما ببذل الروح وصرف
العمر في طاعاته فيكون اشارة الى استكمال القوة
النظرية والقوة العملية لان الشكر في العرف صرف العبد
جميع ما انعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما الى ما خلق
واعطاه لاجله كصرف النظر الى مطالعة مصنوعاته والاطلاع
على ما فيها من دقايق الصنع العجيب والحكمة الانيقة ثم صرف
القلب الى التأمل فيها والاستدلال على وجود الصانع وصفاته
وصرف السمع الى تلقي ما ينبغي عن مرضاته من الاوامر
وما ينبغي عن الاجتناب عن مساخطه ومنهياته من النواهي
ففيه ايماء الى ان العبد الموصوف بما ذكر من التقوى والغنى جامع
للسعادة الروحانية والجسمانية من العلم والتوحيد والرزق
الحسن ففي ان الله يحب العبد الغني ان الله يفعل به من اللطف
والاحسان ما يفعل البليغ المحبة بمن يحبه او يثني على ذلك
العبد وفي هذا المعنى اشارة الى ان من بذل روحه وماله
في مرضاته فهو من المقربين والمرحومين والمفلحين اذ شأن
الله يقتضي رضاه وقبوله وهو لا يرضى ولا يقبل الا من كان

مرجوما و مقربا و شكره يوجب فضلا قال الله تعالى وان تشكروا
يرضه لكم او ينظر اليه بنظر الرحمة وعين العناية لان النظر
دليل المحبة كما ان ترك النظر دليل الكراهة ولذلك اذا نظر
الى بعض رعيته بعين الرضا لا يدع من الانعام والاكرام شيئا
الا فعله في حقهم وفي عكسه لا يكلمهم ولا ينظر اليهم والرحمة اصل
تعالى وقد جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي حيث بها
لعباده اسباب الاستدلال وفتح لهم ابواب المنافع ودفع
عنهم انواع المضار وبينه بالرسول والايات ولم يقتصر
على ما نصب من الحجج العقلية فقول صلى الله عليه وسلم يحب
مع ان على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة
والدلالة على استمرار نظر الرحمة او ينظر اليه بنظر الرحمة حالا
بعد حال لان الرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه
بالعرض فالله غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة
مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها وللاشعار بذلك اتى بها بحرف التحقيق
في البسملة بصيغتي المبالغة اما خوذتين من الرحمة من بين
الاسماء الحسنى والصفات العلى الشاملة لنعوت الجلال
والجمال والنظر قد يراد به الفكر الذي يفيد العلم وقد يراد تقليب
الحدقة نحو المرئي لكي يراه وهما محالان في حقه تعالى ولذا قيد
بنظر الرحمة وعين العناية والرحمة في الاصل رقة القلب
والعطافة نحو المرحوم بحيث يحملان على ان يتفضل ويحسن اليه
باختياره من غير توقع عوض ولا غرض اخر سوى الاحسان

الاحسان وهو مستحيل على الله تعالى واما اسماء الله تعالى
فانما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادئ التي
تكون انفعالات كالرحمن والرحيم والرقة من لوازم لان من رق
طبعا اراد الاحسان او احسن فذهب بعضهم الى انه تجوز عن
الفعل فرحمته معاملة الراحم المرحوم وذهب بعضهم
الى انه تجوز عن ارادته تعالى فعلى الاول الرحمة محدثة وعلى الثاني
قديمة فالرحمة في الاحسان كما في الارادة اما مجاز مرسل نظرا
الى غايتها لانه لما استحال وصفه تعالى بالرحمة باعتبار مبادئها
التي هي انفعالات اريد بها الغايات التي هي الافعال الاختيارية
لانه تعالى مختار على ما سبق فيراد بالرحمن والرحيم المحسن
المتفضل بالارادة والاختيار قضاء لحاجة المحتاجين عامة
بهم واما استعارة تمثيلية او غيرها فعلى الرحمة تنبيه على ان
العبد وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى وصرف امواله
في مرضاته لا يستحق بذلك ثوابا الا برحمته وفضله فان
كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود
فكيف يقتضي غيره قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة
الا برحمته والايات والاحاديث المشعرة بالوجوب
والاستحقاق ماولة بانه كالواجب نظرا الى صدقه في وعده
وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله فالثواب الذي
يحصل له في الاخرة وفاء لما وعده بقوله لئن شكرتم لازيدنكم
وليس باجر بمعنى الواقع في الدنيا واطلاق الاجر عليه مجاز

فصور عطاء الله تعالى بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله
واشارة الى ما ذهب اليه اهل السنة والجماعة من ان العبد
لا يستحق بفعله الثواب وان الله متفضل بما ينعم عليه مختار
فيه لا كما ذهب اليه الفلاسفة من انه موجب بالذات ولا
يصدر عنه المعلول الا بالايجاب والاضطرار ولا يجب عليه
شيء وليس لاحد عليه حق لا كما ذهب اليه المعتزلة من انه
يجب عليه اثابة العبد المطيع بسبب سوابق اعماله وقوله
تعالى جزاء بما كانوا يعملون واشباهه لا يدل على وجوب الثواب
غايته انه يعلم منه وقوع الثواب ولا يلزم من الوقوع الوجوب
ولفظ الجزاء يكفي لاطلاقه على الثواب كون الفعل علة ودليلا
على الثواب لا ان الفعل موجب له وهم اوجبوا على الله
امورا منها الثواب على الطاعات فان التكليف بالطاعات
والامور الشاقة يقتضي في حكمة العادل الغني تعويضه الثواب
عليها ومنها العقاب على الكبائر قبل التوبة ومنها اللطف
ومنها خلق الاصلح ومنها ترك القبيح تعالى عن ذلك علوا كبيرا
فان الحاكم هو الله تعالى فعلى صحة كلا الارادتين اي ارادة
الغني بالقرآن وارادة الغني بالمال يدل قوله صلى الله عليه
وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله القرآن فهو يقوم
به اناء الليل واناء النهار ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه اناء
الليل واناء النهار رواه البخاري ومسلم كلاهما عن ابن عمر
رضي الله عنه فقوله عليه السلام لا حسد اي لا غبطة وهو تمني

ثم

55

تمني النعمة من غير ارادة زوالها من صاحبها وقوله اناه
الله القرآن اي اناه قراءته وحفظه وعلمه وقوله فهو يقوم
به اي علما وعملا وقوله ينفقه اي في الطاعات كما ورد مصرحا
في الاحاديث الاخر وفي الاتيان بالايتاء ايماء الى ان كلا
منهما عطية الهية ونعمة ربانية وانه تعالى يخص من يشاء
بما شاء من النعم الدينية والمنح الدنيوية وفي الحديث اشارة
الى النعمة المطلقة وهي الايمان كونه نعمة مطلقة كونه نعمة
في نفسه من غير شرط شيء بخلاف الاعمال فان شيئا منها
ليس نعمة مطلقة بل مشروطة بالايمان والى تعين العلم
والمال والى ان الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر
لان الغالب عدم الجمع بين العلم والمال والاثار النبوية
في التفضيل بين غني شاكر وفقير صابر وذي كفاف
اختلاف فبعض يفضل الغني الشاكر منه ما ذكر ومنه ما روي
عن ابي هريرة رضي الله عنه رب طاعم شاكر اعظم اجرا
من صائم صابر فان اول مقامه انه صبر عن الطغيان
بالنعمة ثم شكر المنعم برؤيتها منه والقيام بحقه تعالى وشكر النعمة
حيث لم يستعن بها على معصيته والصابر له مجرد الصبر
نعم الفقر اسلم بالنسبة الى الغني حيث يجر الغني في الغالب
الى الطغيان والسلطنة والفقر الى الفناء والمسكنة
ولذا وقعت تربية الله اكثر الانبياء وغالب الاولياء
بوصف الفقر الظاهري والغني الباطني دون ارباب الدنيا

حيث ابتلوا بالغنى الظاهرى والفقر الباطنى وبعض يفضل
الفقير الصابر منه ماروى الامام الطبرانى فى المعجم الكبير عن
شداد بن اوس رضى الله عنه الفقر ازين على المؤمن من الغدائر
الحسن على خد الفرس ومنه ماروى الديلمى عن انس رضى
الله عنه الفقر شين عند الناس وزين عند الله يوم القيمة
فان فيه وفيما قبله اشارة الى شرف الفقر ولزوم الرضا،
والصبر على تحمل مشاقها فضل كبير لان الصبر حبس النفس
على ما يعسر عليها تحمله فيدخل فيه الصبر فى اداء الواجبات
والمندوبات وفى ترك المحظورات من المشتهيات وفى كل
ما ينزل به من المحن والشدائد بان لا يجزع عن شئ من ذلك
بل يكون بقلبه راضيا من الله تعالى فى السراء والضراء
وهو ذريعة الى نيل الطاعات الشاقة والاجتناب
عن استيفاء اللذات المحرمة ومن تحلى بحلية الصبر
سهل عليه مخالفة النفس والهوى فالصبر اعلى مرتبة
قال الله تعالى ان الله مع الصابرين والتسرع الصبر والى
منعة الغنى لانها لا يكاد يدرك بالطلب والطالب للاستكثار
متوعد بغضب الرب ومن حصلت له بغير طلب فهو مكثر
وانها تدنس يحتاج الى التطهير بالزكوة ولذا لم يجب الزكوة
على الانبياء عليهم السلام لعدم تدنسهم بها ولكل منهما فتنة
ففتنة الغنى الحرص على جمع المال وحبه على ان يكسبه من غير
حل ويمنعه من واجبات انفاقه وحقوقه وفتنة الفقر الذى

الذى لا يصحبه صبر ولا ورع حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق
باهل الدين والمروة ولا يبالى بسبب فاقته على اى حرام
ولذا قال عليه السلام اللهم انى اعوذ بك من عذاب النار
وفتنة النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة الغنى
وشر فتنة الفقر رواه البخارى ومسلم وغيرهما من الثقة
وقيد عليه السلام فيهما بالشر لان كلا منهما فيه خير باعتبار
وشر باعتبار فالتقييد فى الاستعاذة منه بالشر يخرج
ما فيه من الخير سواء كان كثيرا او قليلا وقد بين هذا المعنى
فى قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وفى قوله
عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو حيث لا يرضى بالقضاء
او يعرضه الاعتراض على رب السماء وبعض يفضل الكفاف
منه ماروى الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه اللهم
اجعل رزق ال محمد قوتا فانه يدل على ان الكفاف افضل
من الفقر والغنى لانه عليه السلام انما يدعو لنفسه بافضل
الاحوال فالمراد بآل محمد نفسه كما فى قوله تعالى ما ترك ال موسى
وال هرون اى نفس موسى وهرون والقوت قدر ما يمسك
به الرمق وقيل القوت هو الكفاية من غير اسراف ومنه
ماروى مسلم عن عبد الله بن عمر قد افلح من اسلم ورزق
كفافا ومنه ماروى الديلمى وابن عدى عن انس رضى
الله عنه خير الرزق الكفاف ومنه ماروى ابو الشيخ
عن على رضى الله عنه ان الله اذا احب عبدا جعل رزقه

كفافا اى بقدر الكفاية لا يزيد عليها فيطغيه ولا ينقص
فيعوزه فان الغنى مبطرة مأشرة والفقر مذلة ماشرة
ومنه ما روى احمد بن حنبل عن سعد رضى الله عنه خير
الذكر الخفى وخير الرزق ما يكفى وبهذه الاحاديث تدل على
افضلية الكفاف وقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
يقتضى بنهاية فيما اختلفت بحسب الدلالة بان اكرم الناس
وافضلهم اتقاهم سواء كان فقيرا او غنيا او ذا كفاف
والكرم افعل تفضيل من الكرم وهو وصف جامع كل خير
وشرف والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله وفى العرف
بمعنى الجواد ويقابله البخيل والمراد هو الاول ويؤيده ما روى
الامام الطبرانى فى المعجم الكبير عن حبيب بن خراش المسلولى
اخوة لا فضل لاحد على احد الا بالتقوى اى المؤمنون
كالاخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو
الايمان الموجب للجبوة الابدية والسعادة السرمدية وما
روى عن ابى هريرة رضى الله عنه اكرم الناس اتقاهم
ولفظ البخارى عنه قيل لنبى عليه السلام من اكرم الناس
قال اكرمهم اتقاهم والكرم فى الاصل كثرة الخير ولما كان
المتقى كثير الخير والفائدة وله الدرجات العلى فى الاخرة
كان اعم الناس كرما اتقاهم واما الخفى بالخاء المعجمة وهى
الرواية المشهورة الصحيحة فمن الخفاء وهو الانفراد
عن الناس لخير فى كلمة جامعة يعبر بها عن العزلة وهى

بالخاء

وهى الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع يقال
فر الرجل اذا اعتزل عن الناس وتخلى للعبادة فكانه افرد
نفسه بالتبتل الى الله تعالى فمعناه ان الله يحب العبد المعتزل
عن الناس الذى يخفى عليهم مكانه ليتفرغ للعبادة التى هى
كمال العقل فان النفوس المرتاضة المنقادة قواهم الغضبية
والشهوية لقواهم العاقلة تغلب عليها الصفات الملكية
فلا يستريحون ولا يتنفسون الا بطاعته وعبادته كالملائكة
الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون لان التسبيح
بالنسبة الى الملائكة كالتنفس بالنسبة الينا فمحبته تعالى
عبارة عن ان يجعل الله مسموعاتها مالا اذن سمعت ولم تسمعها
مالا عين رأت ولا خيال قلوبها ما لا خطر على قلب بشر
كما ذكر فى الخبر فى وصف الجنة لان العقل الصالح ثلثة اقسام
احدها عمل القلب كالتصديق والنية الخالصة وغيرهما
وهو لا يرى ولا يسمع وثانيها عمل اللسان وهو يسمع
وثالثها عمل الاعضاء والجوارح وهو يرى والحديث كما ترى
جامع لمكملات الانسانية باسرها دال عليها حركا وضمنا
فانها بكثرتها منحصرة فى ثلثة امور هى مجمل الفضائل وامهات
الكمالات صحة الاعتقاد واليه اشير بالتقى بالمعنى الاول
وحسن المعاشرة واليه اشير بالغنى بالمعنى الاول وتهذيب النفس
باستعمال الشرايع النبوية واليه اشير بالخفى لان معناه
المعتزل عن الناس للعبادة مع القيام بشرائطها واركانها

وسننها وادابها وخضوعها وخشوعها وحصول الاخلاص
فيها والاستغراق والتوجه التام الحاصل بها وفيه اشارة
الى مقامات السالك لان معاملته مع الله تعالى اما توسل
واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل واليه
اشار بالتقى واما بالانفاق فى سبيل الخير واليه اشار
بالغنى بالمال واما بالبدن وهو اما قولى وهو الذكر والدعاء
واما فعلى وهو ملازمة الطاعة واما الطلب فالاستغفار لان
المغفرة اعظم المطالب والى هذه الثلثة اشار بالخفى
لانه كلمة جامعة فيشملها وقد قال الفحول فكثيرا يكون فى كتاب
الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام لكلمة واحدة الف فائدة
يعجز عن دركها افهام العقلاء فالعبادة اما قولية وهى الدعاء
وذكر الله واما مالية كالانفاق فى سبيل الله واما بدنية كالجهاد
فانها كما تصلح مثالا للعبادة المالية تصلح مثالا للعبادة البدنية
فان المجاهدة اما بالاموال واما بالانفس اما كون الدعاء عبادة
فلانه مأمور به وفعل المأمور به عبادة ولذا قال صلى الله عليه
وسلم الدعاء هو العبادة رواه الامام احمد وغيره من الثقات
اى دعاء الحق هو عبادة الخلق التى بضمير الفصل والخبر المعرف
باللام ليدل على الحصر فى ان العبادة ليست غير الدعاء مبالغة
او معناه ان الدعاء معظم العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم
الحج عرفة اى معظم اركان الحج الوقوف بعرفة واما الذكر فقد سبق
انه لب العبادات وزبدة الطاعات وانه عبارة عن الاشتغال

الاشتغال بعبادة بالاركان والجنان والاركان وفى كتب
الحديث ما يغنيك عن بيانه ولذلك وصف عليه السلام
فى هذا الحديث من استجمع تلك الصفات بانه اعلى رتبة واكثر
كرامة ممن لم يستجمع اياها بتخصيصه بالمحبة الالهية او المعتبر فى الجزاء
جهات الافعال وكيفياتها لانه قد استكمل نفسه بالقوة
النظرية وبالقوة العملية بالتخلى بما ينبغى ويستأهل الكرامة
عنده والقبول لديه من العقيدة الحقة وما تقتضيه من العمل
الصالح واستجمع بين العبادة القولية والمالية والبدنية
من خصال الايمان ووقف موقف العبودية ببذل ماله
وبذل روحه ونبت نفسه على ما هى عليه من الايمان والعلم
بالوحدانية المطلوب بقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين
فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس
باصلاح احوالها وافعالها وبهضها بالاستغفار ويمكن ان
يراد بالخفى الذاكرون الله كثيرا والذاكرات خاصة لان التفرد
الحقيقى المعتد به تفريد النفس بذكر الله تعالى والشئ
قد يذكر على انفراده لفضله ولذا اجاب به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما روى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه
سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال
الذاكرون الله كثيرا والذاكرات والمفردون بتشديد
الراء المكسورة وتخفيفها يقال فرد برأيه وافرد وفرد واستفرد

بمعنى التفرد

بمعنى المفرد ففى الحديث ايما، الى قوله تعالى والذاكرون الله
كثيرا والذاكرات اعد لهم مغفرة واجرا عظيما والخفى جنس
وضع موضع الجمع كقوله تعالى والطفل الذين لم يظهروا على
عورات النساء وقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار
كما وضع الجمع موضع المفرد كما فى قوله تعالى بالاخسرين اعمالا
والتحريض على اكثار الذكر وتعظيم شانه ومن اقبل عليه
فى السراء اخذ بيده فى الضراء فان يراد به المتفرد بذكر رحمته
او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او المتفرد بكلامه
علما وعملا وتقربا الى الله بقرأته وتحفظا لالفاظه واستكشافا
لمعانيه فان القارئ المتامل لعله يتكشف له باكثار عالم يتكشف
له اول قارئ سمعه قال الله تعالى وامرت ان اكون اول المسلمين
وان اتلو القرآن اى وان اواظبه على تلاوته لتتكشف
لى حقايقه فى تلاوته شيئا فشيئا ولا يخفى ما بين مطلع
الكلام ومقطعه من المناسبة لان الوحدة من لوازم الالوهية
فهو المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر
اطلاعه على الظواهر وان يراد به الخفى عمله ومعلوم انه خاص
خفى الا وهو متعلق علم الله وجزائه وهو كناية عن الاخلاص
فان من اخلص فى العمل اسر وان يراد الخفى الذكر خاصة
والمراد من الذكر ما هو المتبادر عند الاطلاق وهو الذكر
بالتهليل والتقديس والتسبيح والجلالة ونحوها من مفاتيح
الاصول السبعة وهذا هو الاشهر عند الصوفية وحد الاخفاء

الاخفاء اما قدر اسماع النفس او قدر تصحيح الحروف وقد يكون
الاخفاء بمجرد الفكر فى معنى الكلمة ومفهومها بل بمجرد النظر الى ما خلق
الله فى الانفس والافاق من عجايب قدرته وغرايب حكمته
التى هى ايات عظمته وشواهد وحدانيته فيشمل ما كان
باللسان وما كان بالقلب وما قيل من ان كل ذكر مشروع
لا يعتد به حتى يتلفظ به ويسمع نفسه فيضعفه امر الشارع بان يذكر
باللسان كما فى قراءة الصلوة وتشهدها وتسبيحاتها
وتكبيراتها وسائر اذكارها واوعيتها وليس معناه ان من
يذكر الله بقلبه من غير ان يتلفظ بلسانه لا يكون فى الشرع
معتدا به لما ورد من ان الذكر الخفى الذى لا يسمعه الحفظة يسبعون
ضعفا وورد وخير الذكر الخفى وخير الرزق ما يكفى ولا يمكن ان يراد
بالخفى المعنى المشهور عند الصوفية وهو لطيفة ربانية مودعة
فى الروح بالقوة فلا تحصل بالفعل الا عند غلبة الواردات
الالهية لانه لا يناسب المقام على انه بالمعنى المذكور من
الالفاظ المحدثة والصواب كما قاله جمع عدم النظر اليها بل
الى ما جاء به الشارع وفيه اشارة الى ان الاعتزال
افضل من الاختلاط ومن قال بتفضيل الاختلاط يحمله على
الاعتزال وقت الفتنة كما يدل عليه ما روى الديلمى فى مسنده
عن ابى موسى رضى الله عنه سلامة الرجل فى الفتنة ان يلزم
بيته قال النووى الا ان يكون له قوة على ازالتها فيلزمه السعى
فى ازالتها عينا او كفاية وفى هذا الباب خلاف طويل

الذاكر

بين العلماء وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة
وميل الامام الشافعي والامام احمد بن حنبل الى اختيار
المخالطة واستدل كل على مذهبه بما يطول والحق ان الترجيح
يختلف باختلاف احوال الناس فمن لم يعلم به طرائق الاحكام
والحلال والحرام فمخالطته للناس ليعلمهم وينصحهم اولى
ومن لم يغلب مستعد للاقبال على الله تعالى التام الاستغراق
في شهود الحضرة الالهية فالعزلة اولى به فهذا الكلام مع كونه
في غاية الوجازة من ابلغ الكلام وافصح لمتانة معناه
ودقته وفخامة لفظه وحسن نظمه ومن احسن الاحاديث
التي تشهد له اصول السنة وتلوح عليه انوار النبوة لاشتماله
على محاسن المعاني المتنوعة واشتماله على مهمات الحكم النظرية
والعملية التي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم المبلغ العظيم
فيها بالاشارة الى ما ينفع العبد وما يضره من العقايد
والاعمال او البعض من الفاظه اشارة الى درجة العبد
في الطاعة وبعضه في المعارف مع كمال الدلالة على المقصود
وهو التحريض على الاستكمال بالقوة النظرية والقوة العملية
والتحلي بالفضائل العلمية والعملية وعلى الترقي والتمادي في مراتب
العلم والعمل لان البغية مقصورة على التحريض والدعاء الى
الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب وفيما يبعد وكان
الانبياء عليهم السلام متفقين على ذلك وان اختلفوا
في بعض التفاريع فلا يطلب من قوله عليه السلام ان الديك

يحب فائدة الخبر واللازم لها لان الهدى الفائدتين انما تطلب
من الكلام الذي يقصد به افادة المخاطب ويكون المتكلم
في صدد الاخبار والاعلام واما الكلام الذي يقصد به
الامتنان والمدح والترغيب فلا يجب فيه شيء منها ففيه
تحريض باعتبار القوة النظرية على ما به تستكمل النفوس
الانسانية وتشجع فضائلها من المعارف الكسبية لان
العلوم البديهية ليست كمالا لها معتدا بها مشاركة الحيوانات
العجم لها فيها بل جل كمالها المعتد بها الادراكات الكسبية
فان النفس الناطقة المستعدة للنفعل الاول الذي تشوقه
حواس ظاهرة وباطنة
توسلت بها الى ان ترتسم فيها ماهيات المحسوسات وتتنبه لما
فيها من المشاركات والمباينات فيحصل لها صور كلية
تصورية تتمكن بترتيبها على وجه خاص من اكتساب المجهولات
التصورية وعلوم تصديقية
تتمكن بترتيبها على وجه خاص من اكتساب المجهولات التصديقية
فالمعارف النظرية كالاحكام العلمية من اسباب استكمال
النفس وانصرافها عن الجهل وعلى الترقي في مراتبها لان
مراتب الاولى استعداد النفس للتعقل وهي العقل الهيولاني
واليها اشير بالعبد لان النفس الانسانية وان كانت
في مبدأ خلقتها خالية عن العلوم والادراكات الا انها
مستعدة لها قابلة اياها كالاطفال فان لهم في حال

لصفوة النظرية في تصورها وترتيبها لاكتساب الكمالات الاربع

الطفولية وابتداء الخلقة استعدادا محضا ليس معه ادراك
اصلا وليس هذا الاستعداد حاصلا لغير الحيوانات
واليه الاشارة الالهية بقوله والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا واستعداد الكمال والتمكن من
الوصول اليه ولو بعد حين فضيلة يستحق عليها المدح
الثانية حصول البديهيات لها واستعدادها القريب
لاكتساب النظريات بحيث تتمكن من تحصيلها فان
النفس اذا حست بجزئيات كثيرة وارتسمت صورها
في الاتها الجسمانية ولاحظت نسبة بعضها الى بعض
استعدت لان يفيض عليها من المبداء احكام تصديقية
فاكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات
المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد
حسا فقد علما وهي العقل بالملكة واليها اشير بالتقي بالمعنى
الاول لان القوة النظرية لاستكمال النفس بالادراكات
الكسبية التي منتهاها التوحيد وهي لا تحصل الا بعد حصول
البديهيات بالفعل لها واستعدادها لاكتساب النظريات
منها وهو مناط التكليف عند جمهور المتكلمين خلافا للشيخ
فان مناط التكليف عنده العلم ببعض الضروريات الثالثة
مشاهدة النظريات وهي العقل المستفاد واليها اشير بالخفي
لان معناه المعتزل عن الناس لمشاهدة النظريات فان
مشاهدها تستدعي فراغا البالغة استعداد النفس

النفس لاستحضار النظريات من غير كسب جديد وهي العقل
بالفعل واليها اشير بالنقي بالعلم لان معنى نقي العلم كون العلم
مخزونا عند النفس بحيث تتمكن من استحضاره متى شاءت من غير
كسب جديد لان بناء النقي على المبالغة وانما اخر المخفي عن النقي
لان العقل المستفاد وان كان متقدما على العقل بالفعل في الحدوث
الا انه متاخر عنه في البقاء لان المشاهدة تزول بسرعة ويبقى
ملكة الاستحضار مستمرة فينتقل بها الى مشاهدتها وبهذه المراتب
يصح ان تعتبر بالقياس الى كل نظري فاذا حصل لنفس نظري
كالعلم بالله بحيث تتمكن من استحضاره متى شاءت من غير
كسب جديد كان عقلا بالفعل وان كان هذا النظري مشاهدا
لها بحيث لا يغيب عنها اصلا فهو عقل مستفاد وعلى هذا لا يكون
حصول هذه المرتبة اي العقل المستفاد في دار الدنيا فمعنى محبة
الالهية هدايته في سلوك طريق ادراك الكليات لاكتساب الكمالات
العقل فان طريق ادراك المحسوسات بالبصر كلية العقلاء وغيرها واما
على المغيبات لم يكن بد من قوة بها تتمكن النفس من سلوك ذلك
نوره كمشكوة فيها مصباح الى اخر الاية تمثيلا للقوة النظرية
في مراتبها كلها في مرتبة الاستعداد المحض كالمشكوة وفي مرتبة
استعداد اكتساب النظريات بالفكر كالزجاجة وبالحدس كالزيت
وبالقوة القدسية التي هي قوة يتجلى فيها لوامع الغيب واسرار
الملكوت كالذي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار الوحي
او الالهام وفي مرتبة استحضار النظريات متى شاءت كالمصباح

الى كسب جهات تؤدي الى السعادة والنعيم الدائم فيفتقر الى شرف
ادراك بديهي سلوك طريق ادراك الكليات في اكتساب النظريات والاستدلال
الطريق فهي نور للنفس به تهتدي الى سلوكه وقد قال الله تعالى مثل

وفي مرتبة مشاهدة النظريات كنور على نور فان العاقل اذا
استحضرت العلوم الضرورية والنظرية بالفعل وصارت
مشاهدة ايا ما حصل لها نور على نور ونور مشاهدة النظريات
على نور مشاهدة الضروريات او نور ملكة الانتقال منها
الى النظريات على نور حصولها بالفعل وفيه تخصيص باعتبار
القوة العلمية على ما به يكمل النفوس الانسانية وتتفاضل
به الاشخاص الجزئية وتتصف بالاخلاق السنية والكمالات
المرضية والمقامات الجلية من الاحكام العلمية وهي التقوى اذ ليس
في العالم خصلة اجل قدرا واعظم اجرا من هذه الخصلة التي هي التقوى
والالا اوصى الله بها خواص خلقه فهي الغاية التي لا يتجاوز عنها
ولا مقتصر دونها وقد جمع الله فيها كل نصح ودلالة وارشاد
وتاديب وتعليم يرشدك ما في القران من ذكرها كم علق
بها من خير ووعد عليها من ثواب وكم اضاف اليها من سعادة
ومن اراد شرفا فليلتمس منها ولذا امر الله النبي عليه السلام بها
حيث قال يا ايها النبي اتق الله تفخيما لشان التقوى وامر
الناس بها تنبيها على ملازمتها حيث علل امرهم بها بفظاعة
الساعة في قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة
شيء عظيم فهي الوصف الجامع للخصائص العلية واشرف الكمالات
العلية والمعنى بالعلم اي المتحلي بالصور الادراكية القدسية
اذ هو يخص بعقيب الاتصال بالملاء الاعلى وهي الملائكة او اشرافهم
وانما سميت بالملاء الاعلى لانهم يسكنون السموات العلى

والكفاف اي العزلة وما
يلزمها من الجوع والسهر والصمت فيدل التخفي على العزلة بالمطابقة
وعلى سائرها بالالتزام لانها يلزمها عادة لان المعتبر في
دلالة الالتزام عند علماء الاصول والبيان مطلق اللزوم عقليا كان او جزئيا عقليا كان او عرفيا
من الاتصال به ينتقل من احد الشيئين الى الاخر وهذا متحقق
في كل امرين بينهما ارتباط وعلاقة والامور الثلثة المذكورة لوازم
الدلول الالتزامي يجوز ان يساق له الكلام وكثيرا ما يكتفي
بالدلالة الالتزامية اختصارا كقوله تعالى والله انبتكم من
الارض نباتا اي انبتكم فنبتم نباتا ولا محذور فيه انما المحذور
الاكتفاء بالدلالة الالتزامية على ما يجب احاطة في الحدود
ليس في الفج الرباني والقبض الرحماني اقوى طريق من
هذه الخصال الاربعة اذ منها تنشا معرفة النفس ومعرفة
الله تعالى بالذوق وهو عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق
في قلوب اوليائه فالعبد التقي النقي العالم بالله من الاحكام اذا اعتزل
عن الخلق وعن نفسه وصمت عن ذكره بذكر به واعرض
عن الغذاء الجسماني وسهر عند نوم النائمين واجتمعت فيه
هذه الخصال الاربعة تبدلت بشريته ملكية وعبوديته سيادة
وعقله حسا وباطنه ظاهرا وغيبته شهادة لان العلم اليقيني
بكماله لا يحصل الا بمتابعة النبي عليه السلام وبعد ذلك يحصل
للانسان شوق الى مشاهدة ما علمه يقينا فيتوجه الى السلوك
والمجاهدة بقلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام والاعتزال

وانما يساق لها الكلام اذ

في عرف الصالحين والمحدثين مسوق لهم اجمعين وقد تقرر في الاصول ان

عن الانام على وجه يوافق قوانين الاسلام فيفيض على النفس الناطقة
صور المعلومات على سبيل المشاهدة كما في العقل المستفاد
لان من محمد الى مرات قلبه فجلاها عن صدإ الاغيار واماط
كل حاجب بينها عن تجلي صور المعلومات من العقد والانهماك
في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها بالعبادة
والطاعات والرياضة والمجاهدات حتى يظهر في الروح المكاشفة
والمشاهدات اتصل بالجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس
من الروحانيات السماوية التي ترتسم فيها صور الموجودات
من الازل الى الابد ما هو كائن وسيكون فتنتقش النفس
الناطقة بما فيها من صور الجزئيات الواقعة في عالمنا هذا
كما تنتقش الصور التي في مرات في خزانة الخيال عند ارتفاع الحجاب
بينهما الان الحاصل في المستفاد لا يخلو عن الشبهات الوهمية
والخطرات التي لا تنفك عنها غالبا العلوم النظرية لان
الوهم لا استيلاء في طريق المباحثة بخلاف الصور الادراكية
القدسية الحاصلة بالاتصال الى الملاء الاعلى فان القوى الحسية
قد سخرت هناك للعقول العقلية فلا تتأثر عنها فيما يحكم بها
وعلى الترقي في مراتبها الى القوة العقلية الاولى تهذيب الظاهر
عن الافعال الدنية باستعمال الشرايع النبوية والنواميس
الالهية الثانية تخلية الباطن عن الملكات الردية والهيئات
الوحشية لانه لا عبرة بحسن الظاهر مع سوء الباطن وان
كلا من الظاهر والباطن عالم يتصور مزينا بالاعمال الصالحة

ثم ترقيها في الابدان وتجريدها من الشوب الى الجزئيات
اربع مراتب
منه

الصالحة وبالاخلاق الفاضلة لاستقر في القلب نور الايمان
واليها اشير بالتقى الثالثة تخلي النفس بالصور الادراكية
القدسية واليها اشير بالغنى بالعلم فان الغنى بالعلم في هذه
الصورة هو التخلي بالصور الادراكية القدسية ويمكن ان
يكون الغنى بالعلم اشارة الى المرتبة الثانية ايضا بطريق
الالتزام لان التخلية مقدمة على التحلية الرابعة ان يتجلى لها
ملاحظة جمال الله وجلاله وقصر النظر على كماله في ذاته وصفاته
وافعاله واليها اشير بالخفي لان العزلة وما يزوها تستعد النفس
وتستأهلها للاستقرار والتمكن في حظيرة القدس والاستغراق
في شهود الحضرة الالهية فمحبته تعالى ادخاله في سلك الجواهر
المقدسة والحاقه في زمرة الملائكة المكرمة ليستضيء بانوارهم
فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة اذا وقعت
عليها انوار الشمس فانه ينعكس النور من كل واحد من تلك
المرايا الى الاخرى وفيه اشارة الى ان منتهى امره هو الاستغراق
في الشهود والخوض لجة الوصول فيصير من اهل المشاهدة فيراه
عيانا ويناجيه شفاها كما ان منتهى درجات المقربين واعلى
مراتبهم هو الاستغراق في صفات الحق واليه اشار بقوله
تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم
وليس المراد من الشهود رؤية الحق بالبصر بل المراد حالة تحصل
للعبد حين رسوخه في كمال الاعراض عما سواه وتمام توجهه
الى حضرة بحيث لا يكون في نشأة قلبه ووهمه وسره غيره تعالى

ثم الجوع والسهر والصمت ثم
الذكر البعد ثم

وهذه الحالة سميت مشاهدة لمشاهدة البصيرة اياها واذا انتقلت تلك المشاهدة منها الى البصر عبروا عنها بالرؤية وفي هذا الاخبار تحريض على الوصول الى المراتب العلمية والعملية المستعدة للمنازل العلية الرضية لان الشهود والخوض لجة الوصول نتيجة الاشكال بحسب القوة النظرية والعلمية معا لان الاشكال بحسب القوة النظرية اصل يتفرع عليه الاشكال بحسب القوة العملية فلا يصح عبادة الله تعالى الا بعد معرفته والتصديق بوجوده واتصافه بصفات الجمال والجلال والوحدانية ولذا اشار تعالى الى الاشكال بالاعتقاد الحق الذي عمدته الاعتقاد بوجود الاله المستجمع لجميع صفات الجمال والجلال ووحدته فقال ان اللهكم لربكم وفرع عليه الاشكال بحسب القوة العملية الكائن بملازمة الطاعة فقال فاعبدوه فيكون معنى ان الله يحب العبد التقي ان الله يحب العبد المشكل نفسه بالاستقامة لان الاستقامة شاملة للاستقامة في العقايد والاعمال والاخلاق من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها والكاملون بحسب ذلك من هذه الامة في كل عصر خمسمائة على ما نطق به ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه خيار امتي في كل قرن خمسمائة والابدال اربعون فلا خمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله من الخمسمائة مكانه وادخل في الاربعين مكانه فيكون قوله عليه السلام ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي شاملا للخضر والابدال والاوتاد والائمة والاقطاب وغيرهم من الخواص

من الخواص فان الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو اما الخضر فالصحيح انه بقي حيا بنص نبينا عليه السلام وانه يعيش الى ان يقاتل الدجال ولا يموت الا في اخر الزمان قال ابن الصلاح جمهور العلماء والصالحين على انه حي والعامة معهم وقال الامام النووي الاكثرون من العلماء على انه حي موجود بين اظهرنا انتهى ويدل عليه ما رواه الحاكم عن انس رضي الله عنه من انه لما توفي صلى الله عليه وسلم دخل رجل اشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت الى الصحابة فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فبالله فثقوا وايا فارغبوا ونظره اليكم في البلاء واما المصاب من لم يجبر انصرف فقال ابو بكر هو على هذا الخضر عليه السلام وفيه دلالة على انه كان حيا في ذلك الزمان ثم يطلق على من استبدل اوصافه المحمودة بمذمومها ويطلق على عدد خاص على ما روى احمد بن حنبل عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه الابدال في هذه الامة ثمانون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الله كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا وعن علي رضي الله عنه الابدال بالشام وهم اربعون رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم الاعداء ويصرف عن اهل الشام بهم العذاب ولا تناقض بين الاخبار عن الاربعين وبين الاخبار عن الثمانين لان الابدال اربعون رجلا ثمانون ضمهم قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام اي انفتح لهم

الغني الخفي

واما الابدال

طريق الى الله تعالى على طريق ابراهيم عليه السلام وعشرة
ليسوا كذلك وانما استتروا كالخضر عليه السلام عن اعين
الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم
جهال بالله وهم عند انفسهم وعند الجهال علماء قال بعض
العارفين كما ان الله تعالى ابهم الساعة الرجوة في ساعات
الجمعة وليلة القدر في ليالي السنة وتعلق القبول والرضاء
بالحسنة والسخط والغضب بالسيئة ابهم الولي بين افراد
الخليقة لما فيه من الحكمة البليغة ولذلك سموا برجال الغيب
كما قال بعض شارحي حديث اذا انفلتت دابته فليناد
اعينوا يا عباد الله المراد بعباد الله الملائكة او المسلمون
من الجن او رجال الغيب المسمون بالابدال وانما سمي
ابو العباس بالخضر لانه اذا جلس على فروة بيضاء فانها
تهتز من خلفه خضراء ورجال الغيب بالابدال لانهم اذا غابوا
ابدلوا امكانهم صورا روحانية تخلفهم في ذلك الموطن فان
ظهر شوق جديد من اناسي ذلك الموطن لذلك الشخص
تجددت لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله فتكلمهم
وهو غائب لان لكل نوع من
الانواع الموجودة في عالم الحس مثالا في عالم العقل وهو
صورة بسيطة نورانية قائمة بذاتها لا في اين هي في التحقيق
الحقايق لانها كالارواح للصور النوعية الجسمانية وهذه
كاصنام لها اي ظلال لها لطافة تلك وكثافة هذه فتلك

تلك الصور النورانية هي التي سميت بعالم المثال لان من شان
المثال ان يكون اخفى من الممثل وهي اخفى من الصور الهيولانية
الينا وقد يقال ان شان المثال ان يكون اضعف وهذه
تكونها كالاصنام اضعف من التي كالارواح وعلى هذا كانت
هذه امثلة لتلك الصور النورانية وليس ما ذكرناه ما ذهب اليه
افلاطون من ان لكل نوع من الانواع الموجودة شخصا موجودا
في الخارج مجردا عن جميع العوارض في نفسه ازليا ابديا لا يتطرق
اليه الفساد قابلا للمتقابلات وهو الذي يسمى بالمثل الافلاطونية
بل هو عالم متوسط بين عالم الاجسام وبين عالم الارواح
وانه من عالم الاجسام اللطف ومن عالم الارواح اكثر
وهو عالم نوراني شبيه بالجسماني والنوم سبب لسير الروح
المنور في عالم المثال ورؤية ما فيه من الصور الغير المجردانية
وبنوا على ذلك تجرد الارواح في صور مختلفة من عالم المثال
وقد وجه تطور الولي بثلثة امور الاول انه من تعدد الصور
والثاني انه من طي المسافة والارض من غير تعدد لان الله
تعالى طوى الارض ورفع الحجب فظن انه في مكانين وانما
هو في واحد الثالث انه من باب عظم هيئة الولي بحيث ملا
الكون فشوهد في كل مكان واما الاوتاد فاربعة على عدد
اركان البيت وهم خواص الله تعالى يحفظ العالم بهم على ما قيل
في شرح حديث روى مسلم عن انس رضي الله عنه لا تقوم
الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله من ان في تكرير لفظة

الجلالة خاصة وهي ان في الارض خواص لله تعالى يحفظ بهم
الدنيا وهم الاوتاد وهم يذكرون الله بهذا الاسم المكرر لا من حيث
ان الاسم يدل على مسماه بل من حيث ان المسمى بهذا الاسم
من يستحق الوجود التام فيكون القيام بهذا الذكر كناية
عن ان لا يبقى احد من تلك الخواص انتهى والكل وتد ركن
من اركان البيت ويكون على قلب نبي من الانبياء عليهم السلام
فالذي على قلب ادم له الركن الشامي والذي على قلب ابراهيم
عليه السلام له الركن العراقي والذي على قلب عيسى عليه السلام
له الركن اليماني والذي على قلب محمد صلى الله عليه وسلم له
الركن الذي فيه الحجر الاسود واما الائمة فلا يزيدون في كل
زمان على اثنين وهما للقطب بمنزلة الوزيرين الواحد مقصور
على مشاهدة عالم الملك والاخر على عالم الملكوت لان الممكن
قسمان قسم يحس به وهو المسمى بالملك والشهادة وعالم
الخلق وقسم لا يحس به بالحواس الظاهرة وهو عالم الملكوت
وعالم الامر فعالم الامر عالم الذوات المجردة عن الهيولى والجواهر
المقدسة عن الشكل واللون والجهة والاين وعالم الخلق
عالم الاجسام والجسمانيات لان الخلق عبارة عن التقدير
فكل ما كان جسما او جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين
فكان من عالم الخلق وكل ما كان بريئا عن الحجم والمقدار
كان من عالم الارواح والمجردات وما كان كذلك فهو الذي تسخيره
وتدبيره واستعماله الروحانيات على الجسمانيات بتقدير

بتقديره قال تعالى الا له الخلق والامر وبهما اختص من الابدال والاوتاد
واما القطب فهو الجامع الاحوال والمقامات ولا يكون في كل زمان
الا واحدا وهو من المقربين سيد الجماعة وقد ورد في بعض الاثر
واما الغوث فهو القطب حين ما يلتجأ اليه ولا يسمى في غير ذلك
الوقت غوثا واما الغوث بالوصف المشتهر عند الصوفية فلم يثبت
في الاثر قال المحقق الفرغاني ما ملخصه القطب الكلي انسان متمكن
في مقام الفردية تدور عليه احوال الخلق وهو اما قطب بالنسبة الى
عالم الشهادة من المخلوقات يستخلف بدلا من اقرب الابدال
عند فوته او قطب بالنسبة الى جميع المخلوقات في عالمي الغيب
والشهادة ولا يستخلف بدلا من الابدال ولا يقوم مقامه احد من
الخلايق وهو قطب الاقطاب المتعاقبة في عالمي الغيب والشهادة
ولا يسبقه قطب ولا يخلفه احد وهو الروح المصطفوي المخاطب
بقولك ما خلقت الكون فان الحقيقة المحمدية محيطة بجميع العوالم
ومتصرفة فيها على الاطلاق اذ الكل خلق من نوره والاصل حاو
لفروعه هذا وههنا وجه لطيف وهو انه صلى الله عليه وسلم اشار
بالاوصاف الثلثة الى العارفين من امته لان العارف اما ان يكون
بالرياضة وتصفية الباطن بالغا الى درجة العيان واما ان يكون واقفا
في مقام الاستدلال والاول هو الولي وهو العارف بالله وصفاته
وافعاله المواظب على طاعته المجتنب عن معصيته المعرض عن اللذات
والشهوات المستغرق في شهود الذات المتحلي بكل خلق محمود
وعند الصوفية هو الفاني بالله والباقي به والثاني اما ان يكون

عرفانه بالبراهين القاطعة وهو الراسخ في العلم واما بان يكون
عرفانه بامارات تطمئن اليها نفسه وهو الصالح فيكون الحديث شاملا
لصنفين فالتقي اشارة الى الصالح والغني بالعلم الى الراسخ
في العلم والخفي الى خصائص احواله والمراد من الامارات الخطابات
المقنعة والعبر النافعة ومن البراهين الادلة الموضحة للحق
المزيحة للشبهة ومن الرياضة الرياضة الموافقة للشريعة
لانه قد علم مما سبق ان الطريق الى معرفة الباري من وجهين
احدهما طريقة النظر والاستدلال وثانيهما طريقة الرياضة والمجاهدات
والسالكون للطريقة الاولى ان التزموا معاملة من علم الانبياء عليهم
السلام فهم المتكلمون والا فهم الحكماء المشاؤن والسالكون
للطريقة الثانية ان وافقوا في رياضاتهم احكام الشريعة
فهم الصوفية المتشرعون والا فهم الحكماء الاشراقيون فمعناه
ان الله يحب العبد التقي العارف بالتي تطمئن اليها نفسه من الامارات
دون البرهان الغني بالعلم المترقي بمدارج النظر في الحجج والايات
الى اوج العرفان الخفي عن الناس الصاعد بمعارج التصفية والرياضات
الى درجة العيان فكل من التقي والغني بدل من العبد واما الخفي
فبدل بعد بدل من العبد او بدل من موصوف الغني كقوله تعالى
من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب فان من خشي بدل
بعد بدل من المتقين او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون
بدلا من الغني لان البدل لا يكون له بدل لانه يفضي الى ان يكون
مقصودا او غير مقصود معا فيكون الكلام على مقتضى القياس من

من الترقي من الادنى الى الاعلى والى الثاني اشار تعالى
بقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من
اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان
والى الثالث بقوله والذين جاهدوا فينا اي بذلوا وسعهم
في حقنا ولاجلنا لنهدينهم سبل السير الينا والوصول الى جنابنا
فان من جاهد في الله حق جهاده انكشف عنه الحجب النفسانية
وتجلت الحقايق الكونية وتجلى له اسرار الملكوت وانوار
عالم الغيب وفي الحديث تحريض على التمتيع بما يهات النعم
من الاسماع والابصار والافئدة التي بها يتوصل الى معرفة
كل نافع او ضار لان الدلائل موصلة الى معرفة الله تعالى
وتوحيده من طريقها لان البراهين اما ماخوذة من الايات
المنزلة وذلك من السمع كبرهان التمانع اما ماخوذ من قوله تع
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا واما من الايات المنصوبة
في الانفس والافاق كالموجودات الدالة على وجود الصانع
وذلك من البصر قال الله تعالى وفي الارض ايات للموقنين
وفي انفسكم اي وفي انفسكم ايات لان الله تعالى جمع في الانسان
انموذج جميع المخلوقات وخصه بخلاصة خصايص المبدعات
فهو دال على وجود الصانع وعلمه وقدرته ووحدته واقرب من
دليل الافاق واظهر دلالة على وجود المؤثر الواجب لذاته لان
الشاهدة دلت على ان الانفس وجدوا بعد العدم وعدموا بعد
الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته ووجب

ان يكون مستندا الى مؤثر واجب لذاته والدليل ما يمكن التوصل
بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبري فالمصنوعات دليل
على وجود الصانع فانها لحدوثها تحتاج الى محدث ولامكانها تحتاج
الى مرجح يرجح احد طرفي وجودها وعدمها على الآخر فالسمع
هي التي تدرك ايات الله المنزلة على الرسل والبصر تعالى التي
تدرك ايات الله المبثثة في الانفس والافاق فهما جامعان
لدرك الايات النقلية والعقلية ومسارح ايات الله المتلوة
والمصنوعة كما ان القلب مقر الفكر في الاء الله الظاهرة
والباطنة الا ان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته
من البصر واليه نظر قوله عليه السلام اللهم متعنا باسماعنا
وابصارنا او في تقديم السمع كما في الايات وشتا الاحاديث
ايماء الى انه افضل من البصر واكثر منه نفعا وتحقيقه انه مع فقد
البصر يتصور ان يصير الشخص مؤمنا عالما كاملا بخلاف
من فقد منه السمع فانه لا يتصور منه شيء من ذلك كسبا
الا ان يعطى من عنده تعالى وهبا مع ان فقد السمع لخلقي
يستلزم فقد النطق الاتي وفي قوله صلى الله عليه وسلم
ابو بكر وعمر بمنزلة السمع والبصر تصريح بما ذكر وهو لا ينافي
تفضيل البصر من حيث ان بعض مرئياته ذاته تعالى اذ قد يوجد
في المفضول ما لا يوجد في الفاضل كالخضر وموسى فان
موسى عليه السلام افضل من الخضر وفيه ما ليس في موسى
من علم الغيوب وكقوله عليه السلام للصحابة اقراءكم ابي

ابي مع ان الصديق افضلهم وفيه حث على استعمال الحواس في احسن
ما نصب من البراهين واستعمال اللف في تفكر الايات المبينة كما فيه
حث على ما يجب عليه من الاستكمال بالكمالات العلمية والتحلي بالفضائل العلمية على احسن الاشارة
العلمية وعلى الترقي الى الشهود الاترى ان ابراهيم عليه السلام
مع كونه موقنا بان الله على كل شيء قدير اشتهى ان ينبرفي من علم
اليقين الى عين اليقين فقال رب ارني كيف تحيي الموتى وطلب
ان يريه كيفية الاحياء بجميع الاجزاء المتفرقة فقال الله تعالى
اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي ليسكن وينزول منازعة
الوهم العقل ويحصل له طمانينة المعاينة فان عين اليقين اقوى
في افادة الطمانينة بالنسبة الى علم اليقين او يطمئن قلبي بانضمام علم
المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته وظاهر الادلة اسكن
للقلوب وازيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف
المشاهدة والعيان ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس الخبر كالمعاينة ان الله تعالى اخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق
الالواح فلما عاين ما صنعوا القى الالواح فانكسرت رواه الامام
احمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما اي ليس المعاينة كالخبر
بل هي اقوى واكد منه اذ قد جعل الله لعباده اذانا واعية وابصارا ناظرة
ولم يجعل الخبر في القوة كالنظر بالعيان واليقين وهو اتقان العلم
بنفي الشبه عنه بطريق ما يقين خبر وهو العلم الحاصل عن خبر الانبياء
عليهم السلام بما غاب عن المشاهدة من الجنة والنار ونحوهما واما
يقين دلالة وهو ما حصل بالنظر الدال على حدوث العالم وقدم محدثه

واما يقين مشاهدة لان قولهم الضروريات اجلى اليقينيات
وقول القاضي في سورة التكاثر فان علم المشاهدة اعلى مراتب
اليقين يدل على ان العلوم المستندة الى المشاهدة من اليقين
واما يقين كشف وشهود لانه كما جعل الله في الرأس سمعا وبصرا
جعل في القلب ذلك فما راه الانسان ببصره قوى علمه به وما ادركه
ببصر قلبه كان اقوى عنده فالادراك المترتب على البصيرة اقوى
من الادراك المترتب على المباحثة وهو العلم الالهي الذي هو معرفة
الذات والصفات والافعال بمشاهدة كشفية لا بمجرد ادلة
نقلية وعقلية ومنه علم الخضر عليه السلام الا يرى ان موسى عليه
السلام لما استكمل بمعرفة الشرايع الظاهرة بعثه الله اليه ليعلم
ان كمال الانسان بان ينتقل من علوم الشريعة الى علوم الحقيقة
المبنية على التنزه عما يشغل سره عن الحق والتوجه بشراشره الى
جناب القدس وعالم الغيب والكلام على علم اليقين وحق اليقين
وعين اليقين والفرق بينها بحسب اللغة ظاهر لان معنى علم
اليقين العلم الذي هو اليقين وعين اليقين الرؤية التي هي
نفس اليقين وحق اليقين اليقين الذي لا ريب فيه ولذا شبه
بالنور في قوة الظهور كما يشبه به مطلق العلم فيقال نور اليقين
اي اليقين الذي هو كالنور قال بعض المحققين علم اليقين شجر
الادراك فاضافته لامية او بيانية ويلحق به ما كان عن كشف
صريح صحيح بعد التهذيب والصوفية فيها اصطلاح وقد يقال ان
مشاهدة كل ما يرى بتوسط نور النار بمثابة علم اليقين ومعاينة

ومعاينة جرم النار المفيض للنور على ما يقبل الاضاءة بمثابة حق
اليقين والاتصال به بمثابة عين اليقين واما قول السلطان الموصوف بافضل الشيم البارع في العلم والكرم الجامع بين فلاذة السيف و
ايده الله الباري كتبه الفاري فجملة مستانفة متضمنة لبيان
اسمه ولغته ورسمه عز نضره اذ اختلف صنيع السفرة الكرام
فبعضهم لم يذكر اسمه ولا لغته ولا رسمه خوفا من السمعة والرياء
والكتفاء بمن يعلم الجهر والخفاء وبعضهم يبين ذكره ويعين صفته
ليصح الاحتجاج بقوله على الكتابة الجلية ويكون وسيلة الى دعاء
الاحياء في الاحوال الرضية والسلك امير المؤمنين وقرة اعين
المسلمين ايده الله خالق السموات والارضين هذا السلك
اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال من كتبه على اثر
لان الاستيناف لابد وان يكون جوابا عن سوال مقدر كقوله
تعالى قالوا سلاما قال سلام فانه علم من ان الملائكة قالوا لابراهيم
عليه السلام سلاما توجه ان يقال فماذا قال ابراهيم عليه السلام
في جواب الملائكة فقيل قال لهم سلام فقوله عز نضره كقال لهم سلام
عن غير السبب لان السوال اما عن غير السبب المطلق والسبب
الخاص واما عن السبب المطلق نحو قوله قال لي كيف انت قلت
عليل سهر دائم وحزن طويل فان قوله سهر دائم جملة مستانفة
وقعت جوابا عن سوال سبب علته ما هو واما عن السبب
الخاص كالحكم السابق نحو قوله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس
لامارة بالسوء فان الجملة المصدرة بان جملة مستانفة وقعت
جوابا عن السوال عن السبب الخاص لعدم تبرئة نفسه كانه

جواب السوال

قيل هل النقش امارة بالسواد على انه جواب من قال ما الدليل
عليه فانه لما رفع السلطان الكل الاعظم والمنى خان الاجل الاتم حديث
ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي الى النبي صلى الله عليه وسلم
قيل ما الدليل عليه فنزل ذاته العلية منزلة الغائب حيث عبر
عنه بالاسم الظاهر واجاب بانه كتبه امام الخلق وخليفة الحق
فانه لا يكتب عنه صلى الله عليه وسلم ولا يسند اليه عالم يتقي به
فانه لا يليق بمنصب الخلافة عنه فالضمير المنصوب يرجع الى ما قاله
عليه السلام وعلى التقدير الاول فالضمير المنصوب اما راجع
الى ما قاله عليه السلام واما راجع الى ما قاله سعد رضي الله عنه
والكل وجيه وكتب فعل ماض من الكتب وهو ضم اديم الى اديم
بالخياطة وفي العرف ضم الحروف بعضها الى بعض في اللفظ وقد يقال
على ضم الحروف بعضها الى بعض في اللفظ وقد يجيء بمعنى الايجاب
كما في قوله تعالى كتب عليكم الصيام اي فرض عليكم وكما في قوله
تعالى كتب على نفسه الرحمة اي الزمها تفضلا واحسانا وكما في
قوله عليه السلام كتب ربكم على نفسه قبل ان يخلق الخلق رحمتي
سبقت على غضبي اي اوجب وعدا ان يرحمهم قطعا فعبر
عن توجه الايجاب وتعلقه بالكتب لدلالة على ان هذا المعنى
كالمكتوب والمراد بالسبق القطع بوقوعها وقيل لكثرة الرحمة
وشمولها وقد يجيء بمعنى التقدير والاثبات كقوله تعالى وابتغوا
ما كتب الله لكم اي واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح وقوله
تعالى وانا له كاتبون اي مثبتون في صحيفة عمله فالكتابة باليد

بيده

باليد في حقه تعالى تصوير وتمثيل لاثباته وتقديره وقد ورد في
كثير من الاحاديث كتب بمعنى امر كحديث انه صلى الله عليه وسلم
كتب الى قيصر وكتب الى النجاشي وكتب الى كسرى ونحوها وكلها
محمولة على انه امر بالكتابة والمراد بالكتب ههنا الخط باليد
ولا شك ان كتابة اية او حديث عن اصح الكتب بحسن خط من
الامور المستحسنة لان عالما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم من البدع منقسم الى واجب ومحرم ومندوب ومكروه
ومباح والطريق في ذلك ان تعرض على قواعد الشريعة
فان دخلت في قواعد الايجاب فهي واجبة او في قواعد التحريم
فهي محرمة او الندب فهي مندوبة او الكراهة فمكروهة او الاباحة
فمباحة والبدع الواجبة امثلة منها الاشتغال بعلم النحو لان حفظ
الشريعة واجب ولا يتأتى حفظها الا بذلك وما لا يتم الواجب
الا به فهو واجب ومنها حفظ غريب الكتاب والسنة من اللغة
ومنها تدوين اصول الفقه ومنها الكلام في الجرح والتعديل
ومنها تمييز الصحيح عن السقيم والبدع المحرمة امثلة منها مذاهب
القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة والرد على هؤلاء من البدع
الواجبة والبدع المندوبة امثلة منها احداث الربط والمدارس
وكل احسان لم يعهد في العصر الاول وتلك الكتابة مأثرة
باقية على صفحات الايام موجبة لدعوات الخواص والعوام
فنعم ما قيل كل مأثرة يفنيها الاقلام ليس يطمع في درسها الايام
ويؤيده ما روى ابو الطيب باسناده الى الوليد بن عبد الملك

انه لما امر بنا مسجد دمشق وجدوا في الحائط القبلي لوحا من حجر
فيه خط رومي حمير فيه كتب في زمان سليمان بن داود عليهما
السلام وروى الديلمي عن ام سلمة رضي الله عنها الخط الحسن يزيد
الحق وضحا وفي رواية وضوحا لانه انشط للقارئ وابعث
على تجديده الهمة على التامل والتدبر قيل الخط احد اللسانين
وحسنه احدى الفصاحتين وقال فضيل بن سهيل من سعادة
المرء ان يكون حسن الخط وفصيح العبارة انتهى وحسن الخط
يدخل تحت قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء، لان الاية متناولة
زيادات الصور والمعاني لعموم لفظة ما كملاحة الوجه وحسن الصوت
وخصافة العقل وسماحة النفس واول من خط بالقلم ونظر في
النجوم والحساب ادريس عليه السلام فتقلب به بكثرة درسه
واما كتابة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلف
السلف من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
فكرهها طائفة واباحها طائفة ثم اجمعوا بعد ذلك على الجواز
وزال الخلاف قال ابن الصلاح لولا تدوينه في الكتب لدرس في الاعصر
الخالية وجاء في الاباحة والنهي حديثان فحديث النهي ما روى
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تكتبوا عني شيئا الا القرآن ومن كتب عني شيئا غير القرآن
فليمحه وحديث الاباحة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل
رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اني اسمع منك الشيء فاكتبه
قال نعم قال في الغضب والرضاء قال نعم اي الكتب كلما سمعت مني

في غاني لا تقول فيها الا حقا رواه الامام احمد وابو داود والحاكم
والتوفيق بين حديثي الاباحة والنهي بان الاذن لمن خيف
نسيانه والنهي لمن امن من النسيان ووثق بحفظه وخيف
اتكاله على الخط او الكتب فيكون النهي مخصوصا او نهى عنه من خيف
اختلاطه بالقرآن واذن فيه حين امن من ذلك فيكون النهي منسوخا
او انه مخصوص بعصره في حياته عليه السلام اما بعده فواجبة او لم
لا تكتبوا عني شيئا فلته ثم جاء القرآن بخلافه ولذا كانت الاحاديث
في عصر الصحابة والتابعين غير مدونة ولا مرتبة فلما كان زمن عمر
بن عبد العزيز على رأس المائة امر بتدوين الحديث فاول من دون
بامره ابن شهاب الزهري واما الجمع مرتبا على الابواب والفصول
فقد وقع في منتصف القرن الثاني فاول من جمع كذلك ابن جريج
بمكة والامام مالك وابن اسحاق بالمدينة وهشام بالواسط ومعمر
باليمن وابن المبارك بخراسان وكل هؤلاء في عصر واحد فلا يدرى
ايهم اسبق واول الجامع بالاقتصار على الاحاديث الصحيحة
البخاري ثم مسلم واما كتابة سائر العلوم فالامر استقر والاجماع
انعقد على جواز كتابة العلوم بل على استحبابها بل لا يبعد وجوبه
على من خشي الضياع ممن يتعين عليه تبليغ العلم فاذا حفظت
استغنيت عن الكتاب وان نسيت فنعم المستودع الكتاب
واذا ادب الله تجار الدنيا وحضهم على كتابة المداينة فكيف بتجار
الاخرة على تقييد الامانات العلمية واودعهم واخذ عليهم الميثاق
ان يؤدوه ولا يكتموه ويدل عليه رواية قيدوا العلم بالكتاب لانه

يكثر على السمع فيعجز القلوب عن حفظه وما كان القلب معلولا
بعلة النسيان الذى هو كامن فى الادمى خيف ذهابه فامر بالقيد
للايفوت ويندرس ومن ثم قال الخليل العلم ما فى الكتب راس
المال وما فى قلبك النفقة وبهذا ظهر وجه ما قيل من وجوب
كتابة العلوم الشرعية وتقييد رسومها واما ال فهى اما حرف
تعريف او بمعنى الذى وتعريف الموصول كتعريف ذى اللام فى
انه تارة يكون للاشارة الى المعهود الخارجى لتقدم ذكره صريحا
او كناية او لتقدم علم المخاطب به وتارة يكون للاشارة الى نفس
الحقيقة من حيث هى هى او من حيث تحققها فى ضمن كل فرد
او فى ضمن بعض الافراد او فى ضمن الافراد مطلقا من غير تعرض
لبيان الكمية من الكلية والجزئية وعلى التقديرين فالتعريف ههنا
للجنس لا من حيث هو هو اذ لا يتعلق به الكتابة بل من حيث تحققه
فى ضمن بعض الافراد وهو ظاهر او من حيث تحققه فى ضمن كل
فرد باعتبار حصر الجنس فيه كالسيجئ او للعهد الخارجى الشخصى
لان المراد هو الذات المتعين الموفق لجهاد الكفار واستيصال
اشقياء يكجرى والعهد ثلاثة شخصى كما اذا اريد بالانسان زيد
ونوعى كما اذا اريد به الرومى فقوله كتبه الغازى قضية شخصية

واما الغازى بالكون الياء فمن الصفات المشتقة من الغزو
وهو الجهاد فمعناه المجاهد فى سبيل الله بالكفار بالسيف وبالسفار
بالزام الحجة واقامة الحدود لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود
من بعثة النبى قال الله تعالى وجاهدهم به جهادا كبيرا اى جاهد

اسم موصول

اى جاهد بالقرآن جهادا شديدا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر
من مجاهدة الاعداء بالسيف وانما لم يذكر قوله فى سبيل الله
لان علم المخاطب بتعين المراد يغنى عن التقييد والجهاد على قسمين
جهاد الكفار والاشقياء وجهاد النفس بتهذيب الاخلاق والصبر
وكسر شهواتها وهو اعظم الجهاد واكبره وقد روى الخطيب عن
جابر رضى الله عنه قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر مجاهدة العبد هواه والسبيل فى الاصل هو الطريق
فيطلق مجازا على الدين والاسلام وعلى ما يوصل العبد الى الله
تعالى من الطاعات واتباع الرسول لكونه طريقا الى مرضاة
الله تعالى والنجاة من عذابه المؤبد وفى الكلام تقدير مضاف
وفى مستعملة فى معنى العلية بتشبيه العلية بالظرفية فى ابتناء احد
طرفيها على الاخر كما بتناء البناء على مكانه استعارة تبعية اى كتبه
المجاهد والمقاتل بالكفار والاشقياء لنصرة دين الله واعزازه
وفائدة التجوز الاشارة الى ان لا يكون المجاهدة لغرض اخر غير
نصرة دين الله واعزازه وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى
اليه وعلى ان المجاهد ينبغى ان لا يكون قصده بالذات الى التقرب
الى اعلاء الحق واعزاز الدين فان الجهاد تخريب بلاد الله تعالى
وتعذيب عباده واتلافهم واحراق ذروعهم وقلع اشجارهم وهو
ليس بحسن لذاته وانما حسن لما فيه من اعلاء كلمة الله واعزاز
دينه واهلاك اعدائه وهو من اسباب نيل الاخرة فيكون
تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق ذروعهم وقلع اشجارهم

انسا ولبقى والمنهى عنه الافساد بغير الحق وروى احمد بن حنبل
فى مسنده والبخارى ومسلم عن ابى موسى الاشعرى من قاتل
لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله والمراد بسبيل الله
ما امر بسلوكه وفى عرف القرآن الجهاد وفيه اشارة الى ان سبيل الله الاسلام معفوز
من حيث ان المغفرة مسببة عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء
الدين وازاحة الكفر وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير
ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدى الظلمة
والى قوة ايمانه والى ترحم المستضعفين من النساء والولدان
والرجال والصفة كالموصوف هى الاسم الدال على ذات مبهمة
باعتبار معنى مقصود من جوهر حروفه والتزم ذكر الموصوف
معه لفظا او تقديرا لتعيين الذات المبهمة الا ان بعض الصفات
قد يغلب على ذات معينة فلا يستعمل فى غيرها كالرب اذا اضيف
وكالرحمن فانهما غلبا عليه تعالى وكالآخرة فانها صفة غالبة على
تلك الدار كما ان الدنيا صفة غالبة على هذه الدار وكما يكون الغلبة
فى الصفات تكون فى الاسماء المقابل لها كالبيت على الكعبة
وفى المعانى كالخوض على الشروع فى الباطل ومعنى الغلبة
اختصاصه ببعض افراده بحيث لا يحتاج فى الدلالة عليه الى
قرينة والمراد بالذات ما هو المستقل بالمفهومية سواء كان
قائما بنفسه كالانسان والفرس او قائما بغيره كالعلم والجهل
وبالمعنى ما لا يكون كذلك لاشتماله على نسبة ما والمراد بالمبهمة
ما لم يعتبر فيه تعيين ما كالابيض والاحمر والاسود فان كلا منها

منها يدل بجوهر حروفه على معنى مقصود وهو البياض والحمرة
والسواد واسم الفاعل وان جاز عمله فى غير المفعول به مطلقا
الا ان عمله فى المفعول به مشروط بكونه للحال والاستقبال والغازى
ههنا ليس كذلك بل للاطلاق المستفاد منه الاستمرار او للزمان
الماضى والصفة بهذا المعنى يقابلها الاسم وهو الاسم الدال على
ذات معينة بدون ملاحظة ما فيه من المعانى كرجل وفرس وعلم
وجهل والمراد بالذات المعينة ما اعتبر فيه تعين ما شخصيا كان
او نوعيا او جنسيا فالاسم المقابل للحرف والفعل اما اسم او صفة
والاول يوصف ولا يوصف به والثانى لا يوصف ويوصف
وهذا هو المعيار فى التفرقة بين الاسم والصفة واما الفرق
بين الافعال وتلك الصفات فهو ان النسبة فى الصفات معتبرة
من طرف الذات وفى الافعال من طرف الحدث فالغازى صفة
تدل على ذات مبهمة ما مأخوذة مع بعض الصفات وتلك الذات
هى السلطان والعالم بذكره اذ لا يذهب

الوهم الى غيره يعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه الا السلطان
كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين
والابهام اولا ثم رفعه بذكر اسم العلم تاكيد ومبالغة
كقوله تعالى رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى او معنى الخاص
فى الغزو والجهاد لان بعض افراد الجنس مع كونه بعضا منها فى
نفس الامر قد يدعى انحصار الجنس فيه وكونه جميع افراد الجنس

الكمال واستجماعه جميع الخواص المطلوبة من ذلك الجنس والفضائل
المقصودة منه وبذلك يصح ان يحصر الجنس فيه ولا يطلق على غيره
ولذلك قولك عمرو الشجاع الكامل في الشجاعة تبرز الكلام في صورة
توهم ان الشجاعة منحصرة لاتتجاوزه الى غيره لعدم الاعتداد
بشجاعة غيره لقصوره عن رتبة الكمال وانما وصف ذاته العلية
بالغازي اجلالا وتشريفا له بهذا الوصف الجليل على ما هو طريقة
الملوك العظام ليكون اوقع في النفوس اوشكرا بتجدد لكون
الجهاد نعمة واحسانا اما في حق الكفار والاشقياء فلانه سعى
في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي المجنون واما في حق المؤمنين
فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم قال النبي عليه
السلام التحدث بنعمة الله شكر اى اشاعتها من الشكر والشكر
ثلثة شكر اللسان بالتحدث بالنعمة وشكر الاركان بالقيام
بالخدمة وشكر الجنان بالاعتراف بان كل نعمة منه تعالى قال بعض
العارفين ذكر النعم يورث الحب في الله وهو بجميع اقسامه
موجود في سلطان الاسلام ايده الله العزيز العلام ولذا قال
سليمان عليه السلام يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا
من كل شئ تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ولم يقل ذلك
على سبيل الافتخار والاستكبار بل على سبيل الاعتراف
بفضله واحسانه اليه اما السلطان فهو العالي بالامور يطلق
على الذكر والمؤنث ويجئ بمعنى البرهان والحجة وبمعنى القهر والغلبة
والقوة اى التسلط والاستيلاء واما سلطان القمر فهو نوره ولابد

ولابد للناس من سلطان قاهر يأمر بالطاعات وينهى عن المعاصي
وينتصف للمظلومين ويدرأ بأسه الظلمة عن المستضعفين وهو
الامام الاعظم الذي تأتلف برهبته الاهواء المختلفة وتجتمع
بهيبته القلوب المتفرقة وتكف بسطوة الايدي المتغالبة وتنقمع
من خوفه النفوس المتعاندة لان في طبايع الانسان من حب
المبالغة والقهر لمن عانده مالا ينفكون عنه الا بمانع قوي
وراع ملي والعلة العائقة من الظلم اما عقل راجح يهتدي به
الى الحق والصواب ويعصمه عن متابعة الشيطان اودين
زاجر اوامام رادع او مجز صاد ورهبة الامام ابلغها فبعض
اوجب نصبه على الله تعالى وبعض اوجبه على الناس فمنهم
من اوجبه على الناس عقلا ومنهم من اوجبه عليهم شرعا وهم
الاشاعرة قالوا نصب الامام واجب لان نصب الامام دفع
ضرر لا يندفع الا به لان البعد اذا خلي عن رئيس قاهر كذلك
استحوذ على بعده الشيطان وفشى فيه الفسوق والعصيان فشاع
الهرج والمرج والاضطراب بين الناس يعلم من ذلك من تتبع
العادات فنصب الامام سبب لهذه المفاسد والمضار ووجوده
دفع لهذا الضرر الكثير من النفس ودفع الضرر عن النفس بقدر
الامكان واجب لاجماع الانبياء عليهم السلام عليه على ان اقامة
الدين هي المطلوب ولا تصح الا بالامان فاتخاذ الامام واجب
في كل زمان وان الله تعالى جمع له صلى الله عليه وسلم بين
النبوة والسلطان وان نظام الدين انما هو بالعونة والطاعة
الملة و

وتلك لا تخص الا بامام مطاع فالسلطان حارس وراع ومن
لا راعي له فهو ضال فمن اهان امير المؤمنين فهو من المهانين
واما لفظ عدلي فهو من الالقاب المشرفة من الاعلام كالصديق
والفاروق لان العلم وهو ما يعرف به من جعل عليه علامة ثلثة
لقب وكنية واسم فاللقب ما دل على ضعة او رفعة كعدلي
فان معناه هو المنسوب الى العدل وهو التوسط في الامور
والتجافي عن طرفي الافراط والتفريط ولا يكون الا بالشرع الذي
يوازن به الحقوق ويسوي بين الناس ويقابله الظلم وهو
وضع الشيء في غير موضعه واختص عرفا بالذنب المتعدي الى الغير
فالعدل اصل لجميع الاخلاق الحميدة وشامل لمجامع الفضائل
المحمودة فكلها متفرعة عليه لان العدل شامل لما يتعلق بالاعتقاد
ولا يتعلق بافعال الجوارح ولا يتعلق بالاخلاق النفسانية
واجل وجوه العدل اعتقاد الاعتقاد بوحدة الاله فان نفي
الاله تعطيل محض واثبات اكثر من الواحد تشريك وبهما ذم الله تعالى
والعدل هو اثبات اله واحد واعتقاد انه لا اله الا هو واجل وجوه
العدل عمل الصلوة والزكوة والجهاد واجل وجوه العدل خلقا
الشفقة على عباد الله الموجبة لبقاء الذكر الجميل والصيت الحسن
وبقاؤهما على السنة العباد دولة عظيمة من حيث كونه دليلا
على رضى الله ومحبته لعبده فانه اذا احب عبدا يلقي محبته الى اهل
السموات والارض فتحبه الخلايق ويدل على اجلبتها ما روى الديلمي
عن علي رضي الله عنه العدل حسن ولكن في الاحرار الحسن وما ذكر

ثم اذا فسر بوضع الشيء في موضعه الشرعي واختص عرفا بالانصاف

وما ذكر فيه من ان العدل ميزان صلاح السلطان ونجاحه وفلاحه
واستمرار دولته اذ لا نظام الا به ومن جار من ولاة الامور
فقد اهان السلطان ومن اهانه فقد اهانه الله على ما ورد به
الحديث اذ ليس شيء اسرع في خراب الارض ولا افسد لضمائر الخلق
من الجور وفي قوله عليه السلام ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على
عبده اشارة اليه لان اثر النعمة في ولاة الامور الرفق بالرعية
واقامة نواميس العدل ومعاملتهم بالانصاف وترك الاعتساف
قال الله تعالى واشرقت الارض بنور ربها اي بما قام فيها من العدل
سمى الله تعالى العدل نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق وميزانا
وهو ما يعرف به مقادير الاشياء حيث قال الله تعالى ووضع الميزان
اي العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى
انتظم امر العالم واستقام واما العدل بين العبد وربه فقد ظهر
انه ايثار حقه على حظ نفسه واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر
وبينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها والكنية ما صدرت باب
وام تطلق تارة على قصد التعظيم والتوصيف كابي المعالي
وابي الفضائل وتارة لنسبة الى الاولاد كابي سلمة وابي شريح
والى ما يناسبه كابي هريرة رضي الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم رآه ومعه هرة فكناه بها وتارة لعلمية الصفة كابي عمرو وابي بكر
والاسم ما وضع علامة للمسمى كمحمد واحمد ومصطفى من اسماء
النبي عليه السلام الآمر لامته بقوا اسمي باسمي ولا تكنوا بكنيتي رواه
الطبراني في معجمه الكبير عن ابن عباس رضي الله عنه وروى الحاكم

واستجلاب الدعوات للسلطان

في مسند، كه عن ابي هريرة رضي الله عنه انا ابو القاسم الله يعطي
وانا اقسم وانما نهى عليه السلام لانه يقسم من قبل الله تعالى جاء وحي
وبشر لهم منازلهم التي يستحقونها في الشرف والفضل ويقسم
الغنايم والفيء ولم يكن احد منهم يشاركه في هذا المعنى فمنع ان
يكنى به غيره بهذا المعنى اما لو كنى به احد للنسبة الى ابن له اسمه قاسم
او للعلمية المجردة جاز وقيل النهي مخصوص بحال حياته لئلا يلتبس
خطابه بخطاب غيره واما محمود خان فالجزء الاول اسم مخصوص
لسلطان الاسلام ايده الله العزيز العلام وفي التسمية به تنويه
بسمى اي رفع لقدر المسمى قال ابن القيم التسمية حق الاب للام
فلو تنازع الابوان في تسمية الولد فهي للاب لان الولد يتبع
اباه في النسب والتسمية تعريف النسب والمنسوب روى
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال عليه السلام حق الولد
على والده ان يحسن اسمه ويزوجه اذا ادرك ويعلمه الكتابة وفي
رواية ابي رافع رضي الله عنه حق الولد على الوالد ان يعلمه الكتابة
والسباحة والرماية وان لا يرزقه الا طيبا وفي رواية ابن عباس
رضي الله عنهما حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويحسن ادبه
وفي رواية عايشة رضي الله عنها حق الولد على والده ان يحسن اسمه
ويحسن موضعه ويحسن ادبه الا ان في اضافة الولد الى الوالدة
تارة والى الوالد تارة اخرى في قوله تعالى لا تضار والدة بولدها
ولا مولود له بولده تنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه

فسلطان الاسلام ايده الله العزيز العلام مستحق لاذكر من حسن

من حسن الاسم والاداب والرماية والكتابة وغيرها اما اسمه فهو
في الاصل اسم مفعول من الحمد فنقل من الوصفية الى العلمية كما نقل
محمد من الوصفية اليها لان الحمد في اللغة هو الوصف بالجميل على
الجميل الصادر بالاختيار حقيقة او حكما على جهة التعظيم والتبجيل
وفي العرف فعل ينبئ بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما واللفظ
عند اهل العرف حقيقة في معناه العرفي مجاز في معناه اللغوي
والمعنى الحقيقي بمنزلة ماهية الشيء اللازمة له والمعنى المجازي
كعوارضه التي تفارقه وكشف ان الحمد كالشكر ليس عبارة عن
القول المخصوص كقول القائل الحمد لله وليس ذلك محمدا لخصوصه
بل لانه دال على صفة الكمال ومظهر لها لان حقيقة الحمد اظهار
الصفات الكمالية وذلك قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل
وهو اقوى من الحمد بالقول لان دلالة الافعال على شيء دلالة عقلية
قطعية ودلالة الاقوال دلالة وضعية قد تتخلف عنها مدلولها ومنه
حمد الله على نفسه فانه لما بسط بساط الوجود على ممكنات لا تحصى
ووضع عليه موائد كرمه التي لا تتناهى فقد كشف عن صفات
كماله واظهرها بدلالات تفصيلية غير متناهية فان كل ذرة
من ذرات الوجود تدل عليها ولا يتصور في العبارة مثلها ومن ثم
قال عليه السلام لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
والفعل اما فعل القلب وهو الاعتقاد باتصاف المحمود بصفات
الكمال او فعل اللسان وهو ذكر ما يدل عليه او فعل الجوارح
وهو الاتيان بافعال دالة على ذلك فعلى هذا يكون الحمد اعم

من الشكر مطلقا لعمومه النعم الواصلة الى الحامد وغيرها والخصائص
الشكر بما يصل الى الشاكر اذ قد اعتبر فيه منعم مخصوص هو
الله ونعمة واصلة منه الى عبده الشاكر وانه لا يتعلق بغيره بالمعنى
الذى ذكرناه بخلاف الحمد فرسول الله صلى الله عليه وسلم
محمود حمده رب العالمين وخالق الاولين والاخرين لا سيما
فى المقام المحمود وحالة نشر اللواء المعقود وكذلك امير المؤمنين
محمود حمده رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما فى العدالة
كيف وقد اثنى على السلاطين العظام فى احاديث كثيرة منها
ما روى الطبرانى والبيهقى عن ابى بكرة رضى الله عنه انه قال قال
عليه السلام السلطان ظل الله فى الارض فمن اكرمه اكرمه الله ومن
اهانه اهانه الله ومنها ما روى ابن البخارى عن ابى هريرة رضى
الله عنه السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه الضعيف
وبه ينتصر المظلوم ومن اكرم سلطان الله فى الدنيا اكرمه الله
يوم القيمة ومنها ما روى البيهقى عن انس رضى الله عنه السلطان
ظل الله فى الارض فمن غشه ضل ومن نصحه اهتدى وقد تقرر
ان النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هى ارادة الخير للمنصوح والنصيحة
لائمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وارشادهم
اليه وتذكيرهم بلطف ورفق واعلامهم بما لم يعلموا من حقوق
المسلمين وترك الخروج عليهم وتاليف قلوب الناس لطاعتهم
والصلوة خلفهم والجهاد معهم وادا الصدقات لهم وان
يدعى لهم بالصلاح وتسمى النصيحة دينا واسلاما على ما يدل

ما يدل عليه ما روى مسلم عن تميم الدارى ان الدين النصيحة لله ولكتابه
ورسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم والنصيحة لكتابه الايمان
بانه كلام الله والنصيحة لرسوله تصديقه فى الرسالة والنصيحة
للعامة ارشادهم لمصالحهم فى الدين والدنيا وكف الاذى عنهم
والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنها ما روى ابو الشيخ عن
ابى بكر رضى الله عنه السلطان العادل المتواضع ظل الله ورحمة
فى الارض يرفع له عمل سبعين صديقا وحمده العلماء والصلحاء
حيث قال الشيخ محى الدين العربى ان السلطان ان كان صالحا
فهو من الاقطاب والا فهو من الابدال واما الادب فاستعمال
ما يحمد قولا وفعلا او اجتماع خصال الخير او وضع الاشياء موضعها
او الاخذ بمكارم الاخلاق او الوقوف مع كل مستحسن او تعظيم
من فوقك والرفق بمن دونك او الظرف وحسن التناول
او مجانبة الخلق على بساط الصدق او مطالعة الحقايق بقطع
العلايق قال بعض العارفين الادب طبقات فاكثر ادب
اهل الدنيا فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم والاشعار
وادب اهل الاخرة رياضة النفس وترك الشهوات ولذا قيل
فى شرح حديث روى ابن ماجه عن انس رضى الله عنه اكرموا
اولادكم واحسنوا ادابهم بان تعلموهم رياضة النفس وتحسن
الاخلاق وتخرجوهم فى الفضائل وتمرنوهم على المطلوبات
الشرعية ولم يرد عليه السلام اكرامهم بزينة الدنيا وشهواتها
وادب الخواص طهارة القلوب التى هى محل نظر الحق جل جلاله

وطهارتها تحصل بحسب قلة التعلقات وانقطاعها وذهابها بها
ماخلا تعلقها بالحق وقال الحكماء الادب ادبان ادب شريعة
وادب سياسة وكلاهما يرجع الى العدل الذى به سلامة السلطان
والامانة وعمارة البلدان واما الرماية فهى رمى السهام من النشاب
بسابقة او الى غرض وهى العلامة التى يرمى اليها من قرطاس
او دائرة مما وقع على الارض او نصب على الهواء فالمقصود به
الرياضة والتمرين على الرمى قبل لقاء العدو ليصير له معرفة
بالرمى وقوة ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا
واركبوا وان ترموا احب الى من ان تركبوا كل شئ يلهو به الرجل
باطل الا رمى الرجل بقوسه او تاديب فرسه او ملاعبته امرأته
فانهن من الحق ومن ترك الرمى بعد ما علم فقد كفر الذى علمه
رواه احمد بن حنبل والترمذى والبيهقى عن عقبة بن عامر
رضى الله عنه وروى عنه مسلم من علم الرمى ثم تركه فليس
منا وروى الطبرانى عنه من ترك الرمى بعد ما علمه رغبة
عنه فانها نعمة كفرها وروى ابن ماجه عنه من تعلم الرمى
ثم تركه فقد عصانى وروى القراب عن يحيى بن سعيد مرسلا
من احسن الرمى ثم تركه فقد ترك نعمة من النعم وعن ابى
الدرداء اللهو فى ثلاث تاديب فرسك ورميك بقوسك
وملاعبتك اهلك وروى الديلمى عن ابن عمر رضى الله عنهما
الرمى خير لهوتم به وروى عنه ابن عدى احب اللهو الى الله
اجراء الخيل والرمى وروى البيهقى وابو داود والحاكم عليكم

عليكم بالرمى فانه من خير لهوكم وروى احمد بن حنبل وغيره من
الثقات ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلثة نفر الجنة صانعه
يحتسب فى صنعته الخير والرامى به ومنبله وقيل فى قوله تعالى واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه سمعته صلى
الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلثا
فهذه الاحاديث كلها تدل على حل الرمى بالسهام والسعى بالسلاح
وتاديب الفرس بركوبها وركضها والجولان عليها بغية الغزو
وتعليمها ما يحتاج اليه من الامور المطلوبة فى امثالها وفى معنى
الرمى كل ما يقاتل به وفى معنى الفرس كل ما يقاتل عليها من الابل
والفيل والبغل وتشديد الوعيد على ترك الرمى يوجب
تشديد الوعيد على ترك كل ما يقاتل به فى هذا العصر من البندقية
والمدفع والهاون وغيرها مما يقاتل به اعداء الدين وتخصيص النبى
عليه السلام القوة بالرمى لانه اقواه فى ذلك العصر ولذا قال عليه
السلام علموا ابنيكم بالرمى فانه نكاية العدو رواه جابر رضى
الله عنه وقد افتى ابن الصلاح بان الرمى من النشاب افضل
من الضرب بالسيف وتشديد الوعيد عليه يوجب كونه فرض كفاية والتعليم اى اللعب بالسلاح والفرس على وجه مخصوص
يأتى به اعداء الدين امر يتوسل به الى اقامة الواجب وهو الجهاد بالكفار وكل امر
يتوسل به الى اقامة الواجب فهو واجب ينتج ان التعليم بالسلاح
والفرس واجب وهو المقصود من الاطناب بذكر الروايات
فى هذا الباب واما الكتابة وهى تصوير اللفظ بحروف هجائه
فقد يسر من الله تعالى لعباده اولا بها ما دونت العلوم

وثمة يستفاد حل التعليم الذى امر به امير المومنين

ولا ضبطت اخبار الاولين ولا استقامت امور الدنا والدين
فالخط من كرامات الانسان لان تحرز العلوم والفضائل وانتهاها
المباحث العقلية والمطالب الشرعية الى اقصى الغايات لاتتاتى
الا بواسطة الخط قال الله تعالى اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم
علم الانسان مالم يعلم واما السباحة فهى نجاة من الهلاك قيل
لصوفى فيم كنت قال فى تعليم مالا ينسى وليس عنه غنى قيل
ما هو قال السباحة واما الجزء الثانى وهو الخان فانما لم يذكره
اما للتواضع واما لعدم مساعدة رسم الكتبة فمحمود خان اما بدل
من الغازى فيفيد تاكيد النسبة وتقريرها لان البدل فى حكم
تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وتكرير العامل يوجب
تكرير النسبة ويوضح المتبوع ويفصله بعد ذكره على الاجمال
فان التفصيل بعد الاجمال اوقع فى البيان واقوى فى الشهادة
ولا يلزم ان يكون البدل تاكيدا او عطف بيان فانه وان كان
مفيدا لتقرير والتوضيح الا ان النسبة الى المتبوع ليست
مقصودة فيه كما فيهما بل المقصود فيه هو النسبة الى التابع فقط
والنسبة الى المتبوع توطئة لها واما عطف بيان فعلى كلا
التقديرين يوضح المتبوع المذكور فان ذكر الشئ بمفهومات
كلية او اوصاف يعمه وغيره لا يعينه ولا يقطع الاشتراك
وان انتفاء احتمال ان يكون هناك مهو ويصح ان يعبر عنه
بالغازى لا يدل عليه دليل فلما تبع ذلك باسم العلم حصل
الايضاح والتعيين وارتفع الالتباس واما خبر مبتدا محذوف

محذوف والجملة استيناف فانه لما قيل كتبه الغازى كانه قال
قائل من هو فقيل هو محمود خان بن عبد الحميد خان فيكون
ابن عبد الحميد خان صفة موضحة لان محمود خان قد يقع
على سلاطين معدودة والجزء الاول على اشخاص كثيرة فيحتاج
الى تمييز المراد عن غيره بالوصف الموضح له وانما اورج ذكر
والده الامجد لان الكتابة والجهاد نعمة والنعمة حقيقة برجع نفعها
اليهما سيما الدينية ولان المقام مقام تعداد النعم وانتساب
الابن الى اب شريف نعمة من الله على الابن لحسن الخط
او قال قائل ما اسمه الشريف فقيل اسمه والحفظ الموضوع
بازاء حضرته موسوما بجميع مشخصاته محمود خان ايده الله العزيز
الرحمن ولم يعطف لما بينهما من الاتصال والاسم باعتبار
الاشتقاق ما يكون علامة لشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من
الالفاظ والصفات والافعال ويستعمل عرفا فى اللفظ الموضوع
للمعنى واصطلاحا فى الكلمة الدالة بنفسها على معنى غير مقترن
باحد الازمنة الثلثة والمراد من الاسم اما الاول واما الثانى
فيكون اللفظ الموضوع مدلولا مطابقيا للاسم او فردا منه
فيكون ابن عبد الحميد خان خبرا بعد خبر للاسم المحذوف فانه
وان لم يكن اسما حقيقة الا انه لما شابه الاسم من حيث
كونه سمة وعلامة مميزة لمسمى عما عداه ودليلا عليه نظم
فى سلك الاسماء واجرى مجرى واحد منها عن اسمه ولا ينافى
تعدد الخبر افراد المبتدا فانه وان كان مفردا لفظا الا انه اسم

جنس مضاف الى المسمى فيكون متعددا من حيث المعنى ولا بعد
في ان يكون لمسمى واحد اسماء متعددة وان يخبر عن الاسم
المضاف اليه بكل واحد من تلك الاسماء وقد يتعدد الخبر اذا كان
المحمول من عوارض المبتدا، لان معنى حمل العرضيات الحكم
باتصاف المبتدا، بالوصف العارض ولا بعد في اتصاف
ذات واحدة باوصاف متعددة ويستعمل تلك على وجهين
بالعطف مثل زيد عالم وشاعر وبغير العطف مثل زيد عالم عاقل
فيحمل كل منهما عليه بلا تاويل الا ان تكون تلك الاوصاف
متضادة فانه يحتاج الى التاويل نحو هذا حلو حامض اي مز
فانه لما امتزج الطعمان لجميع اجزائه وانكسر احدهما بالاخر
حصل كيفية واحدة متوسطة بينهما كقولنا الماء
حار بارد وفي هذه الصورة ترك العطف اولى ونظر بعض النحاة
الى صورة التعدد وجوز العطف ولا يجوز ان يكون صفة له
لان اسمه محمود خان فحسب وليس اسمه محمود بن عبد الحميد خان
واما الابن فهو من الاسماء التي اسكنت فاؤها وحذفت عجازها
وعوضت عنها همزة الوصل وهي اسم واست وابن وابنم
وامرء وامرأة واثنان واثنتان وايمن في القسم واختلف
في ان لام لفظ الابن واو او ياء، فان كان واوا فاصله بنو كجمل
فلما اريد تخفيفه حذف الواو لكثرة استعماله ولتعاقب الحركات
على حرف العلة واسكن اوله فاجتلبت همزة الوصل ليمكن
الابتداء، كالاسم فان اصله سمو فلما حذف الواو بقي حرفان

حرفان اولهما متحرك وثانيهما ساكن والحرف الساكن لما صار
اخر الكلمة حرك واجري الاعراب عليه فلما حرك الساكن
وجب تسكين المتحرك ليحصل الاعتدال فاجتلبت الى زيادة
الهمزة للابتداء، ويدل على ان المحذوف هو الواو مجيء مؤنثه
بالتاء، وما روي من ان ابن بين النبوة وعلى ان وزنه فعل
بفتح الفاء، والعين جمع على بنون وان كان يا، فهو ما خوذ
من البناء، فهو يأتي من بنى يبني مثل رمى يرمي فسمي ابنا
لكونه مبنى ابيه ولذا ينسب به المصنوع الى صانعه بان يجعل
ابناله وبناتا ويجعل الصانع ابالها كما يقال لصانع الحرب
ابو الحرب وفاعل الخزا ابو الخز فيجعلان ابناله ويقال نتيجة
الفكر بنت الفكر والخز بنت العنب فيجعل العنب والفكر ابالها
وانما نسب الى عبد الحميد خان لان
المولود من اب حقه ان ينسب الى ابيه وان لم يكن من اب
فينسب الى الام كعيسى بن مريم واما عبد الحميد خان فالجزء
الاول من احب الاسماء الى الله تعالى قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم احب الاسماء الى الله تعالى ما تعبد له واصدق
الاسماء همام وحارث رواه الشيرازي والطبراني عن ابن
مسعود رضي الله عنه وهو في الاصل مركب من العبد والحميد
والحميد من الاسماء الحسنى التي امرنا الله تعالى بالدعاء بها واخفى
فيها الاسم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب قال الله تعالى ولله
الاسماء الحسنى وهي تامة الاحسن والصفة كاملة وكونها حسنى

دلالتها على صفات الجلال والاكرام والمراد بالاسم ما يطلق عليه
اما باعتبار ذاته او باعتبار صفة سلبية كالقدوس او حقيقية
كالعلم او اضافية كالمجيد او باعتبار فعل من افعاله كالرزاق
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعا وتسعين
اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة رواه البخاري
ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ومعناه من حفظها وهو الصحيح
لانه جاء مفسرا في الحديث الاخر من الصحيح من حفظها اوقاتا
القيام بحقها او عرفها او احاط بمعانيها او عمل بمقتضاها او عدها
كلمة كلمة تبركا واخلاصا دخل الجنة هذا معنى الاحصاء عند
اهل الظاهر واما احصاء الاسماء الالهية عند الصوفية
هو التحقق بها في الحضرة الواحدية بالفناء عن الرسوم الخلقية
والبقاء ببقاء الحضرة الاحدية والفناء هو الاستغراق
في مشاهدة القيومية حتى لا يشعر بنفسه وعدم شعوره وهو
اشتها السير الى الله تعالى ولا خلاف في ان هذا الحديث
ليس فيه حصر الاسماء الالهية في التسعة والتسعين لكن
المقصود ان هذه التسعة والتسعين من احصاها دخل الجنة
او ورد في الكتاب والسنة اسماء اخر خارجة عنها والمراد بدخول
الجنة دخولها اوليا واختلفت الآثار واضطربت اقوال العلماء
في تعيين الاسم الاعظم فقال بعضهم انه مما استأثر الله بعلمه
ولم يطلع عليه احدا من خلقه بل اخفاه في اسمائه الحسنى كما اخفى
ليلة القدر في ليالي رمضان واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة

الجمعة واخفى وقت الموت في الاوقات ليكون العبد ذاكرا
لله تعالى بجميع الاسماء ومجتهدا في احياء ليالي رمضان ومشتغلا
بالدعاء في جميع ساعات يوم الجمعة وخائفا في الاوقات
كلها ومواظبا على الطاعات ومجتنبا عن ارتكاب السيئات
في جميع الساعات والحميد من الاسماء التي يطلق عليه
وعلى غيره فعيل اما بمعنى الفاعل او بمعنى المفعول فاذا اطلق
على الله تعالى فمعناه الفاعل ما يستوجب الحمد من النعم المتوالية
المتكاثرة والآلاء المتعاقبة المتواترة او الحامد على ذاته
وصفاته وافعاله او الذي حصل له صفات الحمد او المستوجب
لان يحمد بصفاته وافعاله او هو محمود يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه
من نعمة او حقيق بالحمد وان لم يحمد لانه المنعم على الاشياء وجودات
حتى يستحق الحمد او محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره
ولا ينفعه التقرب اليه بشكر نعمه او هو محمود يحمده الملائكة
وينطق بنعمه ذرات المخلوقات او محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته
بلسان الحال او محمود في ذاته حمدا ولم يحمد فان جميع المخلوقات
يدل بما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات
على كونه حميدا وفي ان الاسم هل هو نفس المسمى ام لا بحث
فذهب الاشعرية الى ان الاسم نفس المسمى وكثير العقلاء
في تحريره والمعتزلة الى انه غيره ويدل على ان الاسم والمسمى
والتسمية امور متغايرة قوله تعالى وانى سميتها مريم فان
معناه جعلت لفظ مريم اسما وضعت فالذات الموضوع

لها مسمى ولفظ مريم اسم لها وجعله اسمالها تسمية واما الخان
فهو من الالفاظ الفارسية يطلق على كل سلطان كالخاقان
والقآن والفغفور الا ان الاخيرين يطلقان على سلاطين
الصين كما ان لفظ شاه في الاصل يطلق على سلاطين العجم
فعلم مما وقع في الكتاب من التصريح والاشارات
ان من تلالا في سرادقات اعامته انوار السعادات
وازهر في حدايق خلافته اشجار الكرامات ■ كانه حامد
بفعل الخيرات الرافعة للدرجات ● كذلك محمود بجامع
الفضائل والخصايص الكافية للمهمات ومسعود بكارم
الشمائل واحاسن الاخلاق التي من تخلق بواحد منها
انتشر صيته في الافاق ومن اعظم اخلاقه الفاضلة
عفوه عن السيئات الواقعة وتواضعه للعلماء وتصدقه
للفقراء وقد روى الرافعي عن علي الرضي السخي
عفو الملوك ابقى لملك وثقة عن ثقة عليها رضوان ملك
الملك التواضع لا يزيد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله
تعالى والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله
والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وليس
المقصود من رواية هذا الحديث اخطارا وتعويضا فان
داعيه من اهل بيت لا يسئل على عمل اجرا وتعويضا
بل بيان دوام خلافته واستمرار سلطنته واجتماعه
لفضائل نفيسة لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص

في اشخاص كثيرة واثبات اختصاصه بما شاهدناه في بابه
من هذه الكرامات التي الجئتني الى توجه جلال جنابه
وتزيين ديباجة الكتاب بجمال القابه اجرى الله انهار
معاليه على صفحات الايام وربط اطناب دولته
باوتاد الخلود والدوام ويرجو الفقير القليل البضاعة
والضعيف الاستطاعة علما وعملا وقالا وحالا
من اعام المسلمين وسلطان الموحدين ان يسميه بالملك العدل او السلطان الحكم وان يصلح
ما طغى القلم ويتجاوز عما زل القدم قال النبي صلى
الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخي
فان الله اخذ بيده كلما عثر عاثر
وزلة العالم وسقطة السلطان العادل
منهم وصلى الله عليه وسلم
تسليما كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره
الغافلون